مجلة جامعة الملك عبدالعزيز: الآداب والعلوم الانسانية، م٣٠ع٤ ص ص: ١- ٣٢ (٢٠٢٢م)
DOI:10.4197/Art.30-4.1

الفكاهة الكلامية في كتاب "التطفيل وحكايات المتطفلين للبغدادي٤٦٣هـ" دراسة في ضوء نظرية الاستلزام الحواري

د. أماني عبدالعزيز الداود
أستاذ اللغويات المشارك – قسم اللغة العربية وآدابها
كلية اللغات والترجمة – جامعة جدة

مستخلص. تعد الفكاهة مظهرا فطريا واجتماعيا مهما في حياة الإنسان، وتتنوع آليات إنتاجها؛ فمنها ما يكون صادرا عن حركة أو فعل أو هيئة أو مظهر يثير الضحك، ومنها ما يكون صادرا عن التداول الشفهي واستعمال اللغة، وهذا الأخير يعتمد في جزءٍ كبير منه على الالتباس المقصود أو غير المقصود في دلالات الألفاظ أو استعمالها في سياقات غير معهودة، وقد ظهرت التداولية في الدراسات اللغوية الحديثة لينصبَّ اشتغالها على دراسة استعمالات اللغة في حياة الناطقين بها، حيث وجد الباحثون أن بعض الخطابات لا تكفي بنفسها أو بمعناها الظاهري لمعرفة المقصد منها بل لابد من تأويلها بالاعتماد على معطيات معينة تساعد على إدراك معانيها الضمنية، وهو ما يعرف بـ"الاستلزام الحواري" الذي يُعنى بالاختلاف بين ما يُقال وما يُقصد بين المتكلم والمخاطب، وهذه الفكرة تعد عنصرا حاضرا في إنتاج كثير من الحوارات الفكاهية، ومن هنا جاء هذا البحث لتوظيف "نظرية الاستلزام الحواري" في تفسير فكاهة النوادر الكلامية، وذلك بتطبيقها على كتاب "التطفيل وحكايات الطفيليين وأخبارهم ونوادر كلامهم وأشعارهم للبغدادي" فهو من الكتب التراثية التي تحكي نوادر الطفيلين وبعض الملَح وطرائف الفكاهات التي رويت عنهم، مما يجعل مبادئ الاستلزام الحواري حاضرة ومؤثرة.

وتتجه هذه الدراسة إلى أخبار الطفيلين وحواراتهم، وإعادة قراءتها من منظور تداولي، لمحاولة الكشف عن مكامن الفكاهة، وطرق توليدها، ودراسة مدى توافر مبادئ الاستلزام الحواري في حوارات الطفيليين، وأثر غيابها أو الانحراف عنها في إكساب النص اللغوي البُعد الفكاهي، مع محاولة تقديم تفسير علمي مقبول يستند على ما قدمته نظرية الاستلزام الحواري من مبادئ تضمن نجاح الحوار وسلامته وجديته في حال الالتزام بها، وتولد أمورا أخرى في حال انزياح الكلام عنها أو خرقها، من أهمها: الضحك أو الفكاهة.

ولتحقيق تلك الأهداف توزعت الدراسة على تمهيد ومبحثين، جاء الأول منهما عن (الاستلزام الحواري والحمولة الدلالية للنادرة في كتاب التطفيل)، لتحديد الإطار النظري للدراسة وتصنيف الحمولة الدلالية للنادرة وفق مفهوم غرايس، في

حين جاء الثاني لتطبيق مبادئ الاستلزام الحواري على كتاب التطفيل وحكايات المتطفلين من خلال دراسة مبدأين أساسيين، هما:(مبدأ التعاون ـ مبدأ التأدب) وما يتفرع عنهما من مبادئ فرعية للكشف عن العلاقة بينها وبين حصول الفكاهة.

المقدمة

تعد الفكاهة أمرا مهما في حياة الإنسان، حيث تميل النفس الإنسانية إليها، وتأنس بها، وتبحث عنها، ولا يخلو منها مجتمع، ولا تستغني عنها حضارة؛ فالفكاهة مظهر فطري واجتماعي نشأ مع بداية حياة الإنسان، وموجود في مظاهر الحياة كافة لدى الأطفال والكبار، في حالات الفرح والترويح، وفي حالات المشقة والأزمات النفسية.

وللفكاهة تاريخها الطويل في الثقافة الإنسانية، فقد اهتم بها العلماء والمفكرون والفلاسفة قديمًا وحديثًا، ومن ثمَّ توزعت بحوثها بين معارف وعلوم شتى من أهمها: علم الاجتماع وعلم النفس وعلم اللغة والأدب، فقد عُنيت هذه العلوم بدراسة الفكاهة من جوانب مختلفة، وأفردت لذلك الكتب والمؤلفات.

واتجهت أكثر دراسات الفكاهة للإجابة عن أسئلة عديدة، من أهمها: ما الفكاهة؟ وكيف تنتج؟ ولماذا؟ وتعددت المحاولات والجهود بين تلك العلوم لوضع تعريف للفكاهة ، والوقوف على أسبابها ودوافعها، أما كيفية إنتاجها فإن الحديث عنها لا يتم بمعزل عن لغة الفكاهة؛ حيث إن من أهم آليات إنتاجها استعمال ألفاظ اللغة؛ فالفكاهة منها ما يكون صادرا عن حركة أو فعل أو هيئة أو مظهر يثير الضحك، ومنها ما يكون صادرا عن التداول الشفهي[١]الذي يعتمد في جزء كبير منه على الالتباس المقصود أو غير المقصود في دلالات الألفاظ أو استعمالها في سياقات غير معهودة، فالنكتة نشاط لفظي شفهي إرادي، يقصد من ورائه إحداث أثر سار لدى المتلقي، لكن ما الذي يجعل هذا النشاط اللفظي يحقق هذا الأثر الخاص؟ وهل هناك شيء كامن ملازم لطبيعة هذا النشاط اللفظي من منظور حديث؟

لقد جاءت النظرية التداولية في الدراسات اللغوية الحديثة لينصبَّ اشتغالها على دراسة استعمالات اللغة في حياة الناطقين بها، فهي: "نظرية استعمالية، حيث تدرس اللغة في استعمالات الناطقين بها، ونظرية تخاطبية تعالج شروطَ التبليغ والتواصل الذي يقصد إليه الناطقون من وراء هذا الاستعمال للغة"[٢]، حيث وجد الباحثون أن بعض الخطابات لا تكفي بنفسها أو بمعناها الظاهري لمعرفة المقصد منها بل لابد من تأويلها بالاعتماد على معطيات معينة تساعد على إدراك معانيها الخفية أو الضمنية، لأن المتكلم قد يقصد عكس ما يقول، وقد يسمع المتلقي و يفهم عكس ما قيل، وهو ما يعرف في التداولية بـ"الاستلزام الحواري" الذي يقوم على فكرة الاختلاف بين ما يُقال وما يُقصد بين المتكلم والمخاطب، وهذه الفكرة تعد عنصرا حاضرا بقوة في إنتاج كثير من الحوارات الفكاهية،

---

[١] ينظر: فرج رمضان، الأدب العربي ونظرية الأجناس(القصص)، ص ١٠٤

[٢] طه عبدالرحمن، اللسانيات والمنطق، مجلة دراسات سيميائية لسانية أدبية، ص ١٢١.

وانطلاقا من هذا الدور وقع الاختيار على "نظرية الاستلزام الحواري" للكشف عن أهميتها في تفسير المنتج اللغوي الفكاهي وذلك من خلال كتاب " كتاب التطفيل وحكايات الطفيليين وأخبارهم ونوادر كلامهم وأشعارهم للبغدادي" ليكون مجالا لتطبيق نظرية الاستلزام الحواري، فهو من الكتب التراثية التي تحكي نوادر الطفيلين وبعض الملَح وطرائف الفكاهات التي رويت عنهم. ومن ثم جاءت هذه الدراسة تحت عنوان: " فكاهة النوادر في كتاب "التطفيل وحكايات المتطفلين للبغدادي٤٦٣هـ: دراسة في ضوء نظرية الاستلزام الحواري"

ولا ينكر أن أخبار الطفيلين نالت اهتمام الباحثين بوصفها نوادر طريفة مرحة تسرد أفعالا فكاهية تثير في نفس متلقيها السرور والضحك والابتهاج ، وهناك بعض الدراسات الحديثة اللغوية أو الأدبية التي تناولت نوادر الطفيلين من منظور فكاهي أو تداولي، منها على سبيل المثال:

١. أخبار الطفيليين . دراسة في بناء الحكاية والمنظور، علاء عبد المنعم، رسالة دكتوراه، جامعة عين شمس،٢٠٠٧م

٢. أدب الطفيلين التأصيل والخصائص العامة، مزاحم مطر حسين، مجلة مركز دراسات الكوفة،ع١١،جامعة الكوفة،٢٠١٠م

٣. السرد والحجاج في أخبار الطفليين (كتاب التطفيل للبغدادي نموذجا) لأحمد علواني، مجلة فصول ٢٠١٣م

وما تتميز به هذه الدراسة أنها تتجه إلى أخبار الطفيلين وحكاياتهم، وقراءتها قراءة متأملة للكشف عن جانب جديد بالدراسة والبحث وهو الجانب الحواري الذي تتولد عنه الفكاهة، وتهدف الدراسة إلى إعادة طرح أخبار الطفيلين، وإعادة قراءة حواراتهم من منظور تداولي، لمحاولة الكشف عن مكامن الفكاهة، وطرق توليدها بتوظيف نظرية الاستلزام الحواري، والربط بين قواعد مبدأ التعاون وحصول الفكاهة.

اقتضت طبيعة البحث أن يتكون من:(مقدمة ـ تمهيد ـ مبحثين ـ خاتمة)

التمهيد: الفكاهة وكتاب التطفيل وحكايات المتطفلين للبغدادي

- الفكاهة (مفهومها . أهميتها).
- الفكاهة الكلامية
- التعريف بالكتاب

المبحث الأول: الاستلزام الحواري والحمولة الدلالية للنادرة في كتاب التطفيل وحكايات المتطفلين

- مفهوم الاستلزام الحواري ومبادئه.
- الحمولة الدلالية للنادرة

المبحث الثاني: مبادئ الاستلزام الحواري في كتاب التطفيل وحكايات المتطفلين

- الأول: مبدأ التعاون وما يتفرع عنه من مبادئ: (الكم . الكيف –المناسبة. الطريقة).
- الثاني: مبدأ التأدب

الخاتمة: وتتلخص فيها أهم النتائج والتوصيات.

التمهيد: الفكاهة وكتاب التطفيل وحكايات المتطفلين للبغدادي

أولا: الفكاهة (مفهومها . أهميتها)

أ. مفهوم الفكاهة

جذبت الفكاهة اهتمام الأدباء والمفكرين والفلاسفة قديماً وحديثاً، وشغلت حيزا من جهود العلماء وتفكيرهم، ولا عجب في ذلك، فهي تحدث انفعالا نفسيا وجسديا معقدا، يتمثل في الضحك أو الابتسام والراحة والاستجمام، كل ذلك يحفز الفكر الإنساني لسبر أغواره واكتناه أسسه المعرفية، لاسيما وأن الإنسان يجنح للفكاهة دائما ويميل إليها ويستروح بها، فسعى علماء النفس لتفسير هذا الانفعال، وحرص الأدباء على تنظيره وتوصيفه، واشتغل الفلاسفة بالعلاقات بين الفعل الفيزيولوجي للضحك وأوجه النشاط العقلي والنفسي ومحاولة رصد مظاهر هذه العلاقة وأسبابها.

أما في اللغة فقد استعملت كلمات ومفردات متعددة للدلالة على السرور والفكاهة والضحك بأنواعه وحالاته كلها مثل: الفكاهة، النوادر، السخرية، الدعابة، الابتهاج، الطرفة، وبتأمل معاني هذه الكلمات نجد أنه على الرغم من وجود بعض الفوارق الناتجة عن اختلاف أسمائها ودلالاتها وتشترك فيما بينها بقاسم مشترك يجمعها، وترجع في أصلها إلى هدف واحد وهو الإضحاك أو حصول الضحك.

وتعرّف دائرة المعارف الأمريكية الفكاهة (Humor) بأنها "فن من فنون الكتابة أو الكلام أو الموسيقى مثير للضحك، وهو تخلّص مفيد للجسد وللنفس"[(١)] في عرفت في معجم أكسفورد بأنها " تلك الخاصية المتعلقة بالأفعال والكتابة والكلام ... الخ التي تستثير المتعة والمرح والمزاح[(٢)]"

وعُرّفت الفكاهة في قاموس ويستر بأنها:" تلك الخاصية المتعلقة بحدث أو نشاط أو موقف أو بتعبير خاص عن فكرة، والتي تستحضر الحس المضحك أو الحس الخاص المتعلق بإدراك التناقض في المعنى، والفكاهة خاصية واقعية مضحكة أو مسلية، إنها تتعلق بالملكة العقلية الخاصة بالاكتشاف والتعبير والتذوق للأمور المضحكة أو العناصر المتناقضة اللامعقولة في الأفكار والمواقف والأحداث والأفعال"[(٣)]

---

(١) New Standard Encyclopedia: Standard Educational Corporation, Chicago, Illinois,1972 ,P287

(٢) قاموس أكسفورد، نقلا عن شاكر عبد الحميد، الفكاهة والضحك رؤية جديدة، ص١٤

(٣) شاكر عبد الحميد، الفكاهة والضحك رؤية جديدة، ص١٤

واختير في هذا البحث استعمال لفظة الفكاهة، لأنها وبحسب رأي شاكر عبد الحميد لفظ عام يندرج تحته عدد من المظاهر الدالة عليها كالضحك والسخرية والتهكم وغير ذلك.[١]

والفكاهة تصدر عن "قدرة عقلية وروحية، تستطيع أن تكشف هذه العناصر المضحكة المتناقضة في الأقوال والأفعال والحركات والمواقف وتتجاوب معها، وتعبر عنها ضحكا أو ابتسامة أو رضا روحيا" [٢]

وللفكاهة بهذا المفهوم لها استعمالات متعددة ومسميات متنوعة في كتب الأدب العربي، حيث يذهب جبور عبد النور في "المعجم الأدبي " إلى أن الفكاهة: "طرفةٌ أو نادرة أو ملحةٌ أو نكتةٌ أو حكاية موجزة يسرد فيها الراوي حادثاً واقعياً أو متخيلاً، فيثير إعجاب السامعين، ويبعث فيهم الجذل والضحك أحيانا"[٣]

وبتأمل التعريفات السابقة يتضح أن الفكاهة ترتبط بمثير معين، فيكون مرجعها إلى أمور، منها: (الأفعال – الأقوال – الكتابة) وهذا يعني أن من أهم آليات الفكاهة: الكلام أو الأقوال.

ب –أهمية الفكاهة:

للفكاهة قيمة مهمة وفائدة جلية، من أهمها فائدته الشخصية والنفسية للفرد، فهي تزيد من النشاط والحيوية عند الفرد وتعزز مستويات الطاقة، وضرورية لحلّ الخلافات وتخطي الملل والتعايش مع الضغوط، وقد عبّر الجاحظ عن أهميتها تلك بقوله: "وقلت: اذكر لي نوادر البخلاء، واحتجاج الأشحاء، وما يجوز من ذلك في باب الهزل، وما يجوز منه في باب الجد، لأجعل الهزل مستراحا، والراحة جماما؛ فإن للجد كدا يمنع من معاودته، ولا بد لمن التمس نفعه من مراجعته"[٤] كما نوّه ابن قتيبة على هذا المبدأ وجرى عليه في تأليفه كتاب «عيون الأخبار»:" ولم أخل هذا الكتاب من نادرة طريفة، وفطنة لطيفة، وكلمة معجبة، وأخرى مضحكة، لأروّح بذلك عن القارئ من كدّ الجدّ، وإتعاب الحق، فإن الأذن مجّاجة وللنفس حَمْضة، والمزح إذا كان حقًّا أو مقاربًا ليس من القبيح ولا من المنكر"[٥]

وقد أشار البغدادي إلى هذه القيمة النفسية للفكاهة في مقدمة كتاب التطفيل حين علّل جمعه وإعداده، فأشار إلى أن ما جمعه من ذكر التطفيل ... وأخبار أهله الموسومين في هذا الكتاب ليجد به ما يستروح القلب إليه من ثقل الجدّ، ويتروح الخاطر.[٦]

---

[١] شاكر عبد الحميد، الفكاهة والضحك رؤية جديدة، ص ١٣
[٢] علي محمد السيد خليفة، الفكاهة في مقامات بديع الزمان الهمذاني، دراسة تحليلية، ص١٣
[٣] المعجم الأدبي، ص ١٩٤ ــ ١٩٥.
[٤] البخلاء، ص١
[٥] عيون الأخبار، ص١٠
[٦] ينظر: التطفيل ص٤٤

ولا تقتصر أهمية الفكاهة على الجانب الشخصي، إذ تتعدى ذلك إلى الجانب الاجتماعي، وتتميز بأن لها" بعداً اجتماعياً وإنسانياً يتطور بتطور الأفراد والمجتمعات لذلك فهي تحتاج إلى طرفين الأول إنسان تصدر عنه الفكاهة والثاني إنسان آخر تتوجه إليه الفكاهة حيث يشكل موضوعها أو يكون مشاركاً فيها"[١] كما تعدّ الفكاهة مرآة تنعكس عليها أحوال المجتمع، وما يمرّ به من أزمات، وما يحمله من مقومات وقدرات مادية ومعنوية.

ثانيا– الفكاهة الكلامية:

اهتم العلماء والفلاسفة بالضحك عبر تاريخ الفلسفة الطويل فاختلفت تفسيراتهم وتصنيفاتهم لها بحسب وجهات النظر التي انطلقت منها، وما يعنينا هنا نوع واحد من هذا الضحك أشار له العلماء، وهو ضحك الكلمات، أو "الفكاهة الكلامية"؛ حيث تكون إثارة الضحك مردها إلى الكلمات والحوارات، وهو يمثل جزءا كبيرا مما تسميه العرب النادرة أو الطرافة أو الملحة، وذلك بغية الوصول إلى نظرة مجملة عن موقف العلماء من تفسير هذا النوع من الضحك ووضعه بإزاء ما استجد في نظرية الاستلزام الحواري حين تطبيقها على الفكاهة الكلامية عند الطفيلين.

فرق أرسطو بين ضحك الكلمات وضحك الأحداث، فقال: "لما كانت التسلية وكل ضرب من ضروب الاسترخاء والضحك أمورا لذيذة، فإن الأشياء المضحكة؛ أناسا كانت أو كلمات أو أفعالا، هي لذيذة لا محالة"[٢]وأرجع نشوء الأول إلى المفارقة في التلاعب بالألفاظ، فقال في كتابه الخطابة: "النكتة تحصل عند تبديل الأحرف في كلمة تتآلف في المعنى، فتباغتنا عندما نجد أن المعنى أمرًا آخر"[٣]

وفي التراث العربي يبرز الجاحظ فهو علم من أعلام الفكاهة فيه، ومن يتأمل نصوصه يجد إشارات لأسباب وتفسيرات الفكاهة بصورة عامة، والكلامية بوجه خاص، من ذلك قوله في وصف أحمد بن عبد الوهاب ساخرا منه:" وكان ادعاؤه لأصناف العلم على قدر جهله بها، وتكلفه للإبانة عنها على قدر غباوته عنها، وكان كثير الاعتراض، لهجا بالمراء، شديد الخلاف"[٤]

يظهر من كلام الجاحظ تركيزه على فكرة التناقض لتوليد السخرية أو الفكاهة، ولعل في قوله:" لهجا بالمراء[٥]، شديد الخلاف" يشير إلى سبب من أهم أسباب الفكاهة اللفظية، وهو الجدال بغير الحق، أو المفارقة بين السؤال والجواب، والبعد بينهما في تناقض صارخ وخلاف بائن.

---

[١] جهاد قويدر، شعر الفكاهة في العصر العباسي، ص١٥

[٢] عصام الدين أبو العلاء، نظرية أرسطو في الكوميديا، ص٤٩

[٣] عصام الدين أبو العلاء، نظرية أرسطو في الكوميديا، ص٥٣

[٤] الجاحظ، التربيع والتدوير، ص٥

[٥] المراء: هو كثرة الملاحاة للشخص لبيان غلطه وإفحامه، وقال الجرجاني: (المراء: طعن في كلام الغير لإظهار خلل فيه، من غير أن يرتبط به غرض سوى تحقير الغير)

أما المؤلفات الحديثة التي تناولت الفكاهة والضحك فإنها لم تخل من تقديم تفسيرات علمية لنشوء الضحك بواسطة الكلام أو الحوار، من ذلك ما قدمه الفيلسوف الفرنسي هنري برجسون، فهو فيلسوف الضحك بامتياز، حيث درس دوافع الضحك وحدد آلياته في التقسيمات الآتية[١]:

١. مضحك الأشكال ومضحك الحركات

٢. مضحك الواقع ومضحك الكلمات

٣. مضحك الشخصية (الطباع).

وفي معرض حديثه عن الإضحاك بالكلمات ميّز بين الهزل الذي يعبر عنه الكلام، والهزل الذي يخلقه الكلام، فالأول يمكن أن يترجم من لغة إلى لغة، وإن خسر شيئا من تأثيره، أما الثاني فهو غير قابل للترجمة عموما، وهو مدين بتركيبه الأصلي من بنية الجملة واختيار الكلمات، فالكلام هنا هو الذي يصبح هزلا، فالجملة والكلمة في هذا النوع تتمتع بقوة هزلية مستقلة.[٢]

ويرى شوبنهور أن مرد الإضحاك في النشاط اللفظي إلى التفاوت وعنصر المفاجأة، فالنكتة هي" محاولة لإثارة الضحك على نحو قصدي من خلال إحداث التفاوت بين تصورات الناس والواقع المدرك عن طريق إبدال هذه التصورات على نحو مفاجئ في حين تظل عملية تكوين الواقع الجاد مستمرة"[٣]

وهو ما ذهب إليه صالح رمضان حين ركز على عنصر مفاجأة المخاطب بالردود، فيقول: "واستراتيجية الإضحاك تنهض بالضرورة على مفاجأة السامع بأنماط خطابية متجددة، وكسر أفق توقعه وانتظاره"[٤]

وقد أسهب الحوفي عن هذا الجانب في حديثه عن الفكاهة الكلامية، وردها إلى أسباب أو آليات، من أهمها[٥]:

١. الرد بالمثل: وذلك عندما يأتي شخص ويستهزئ بشخص آخر، فيرد عليه المخاطب ردا مماثلا ولكنه أكثر استهزاء، ومثيرا للضحك، بما يحمله من ذكاء وسرعة بديهة ومراعاة النظر واختيار الرد المجانس للكلام الذي سمعه.

٢. التخلص الفكه: ويتمثل في الرد السريع القوي على القول الساخر أو الخاطئ الذي وجه إليه، فيكون المتكلم قد تخلص من الإحراج الناجم عن الموقف المباغت الساخر برد مضحك فكه.

٣. اللعب بالألفاظ: ويتمثل في تغيير صاحب النادرة لبعض الحروف في اللفظ الواحد واستبدالها بحروف أخرى مما يولد معنى مغايرا للمعنى الحقيقي، ويفعل ذلك " معتمدا في ذلك على الاشتراك المعنوي في اللفظ الواحد أو

---

[١] ينظر: هنري برغسون، الضحك، ص٤٩

[٢] ينظر: هنري برغسون، الضحك، ص٧١

[٣] شاكر عبد الحميد، الفكاهة والضحك رؤية جديدة، ، ص٣٦٧

[٤] صالح رمضان، كتاب الأدب والتعدد الثقافي في بخلاء الجاحظ، حوليات الجامعة التونسية، ص١٧٥

[٥] احمد الحوفي، الفكاهة في الأدب العربي ص١٦٦.

على الجناس او الطباق بين اللفظ الذي سمعه واللفظ الذي ينطق به"[١] مما يورث دهشة عند السامع واستغرابا لسماع مالم يتوقع سماعه، وهما جديران بإثارة الضحك.

٤. اللعب بالمعاني: يعتمد على مفاجأة السامع بمعنى بعيد في حين فهم هو معنى قريبا، ويأتي حين يكون التعبير عن "فكرتين منفصلتين إحداهما قريبة بالبال، لكنها غير مرادة، والأخرى بعيدة عن البال لكنها هي المرادة"[٢]وهو السبب ذاته الذي أشار إليه عبد الحميد شاكر في تفسير الفكاهة اللفظية حين قال:" اللعب العقلي بالأفكار والألفاظ(من خلال التوريات مثلا) والتعبير عن الإدراك العميق المتفكه لبعض المتناقضات الموجودة في المجتمع أو في سلوك بعض البشر"[٣]

ويظهر مما سبق التركيز على عنصر المفارقة لتوليد الفكاهة الكلامية ويندرج تحته اللعب بالمعاني والألفاظ، لأن هذا التلاعب مظهر من مظاهر المفارقة، إذ "قد يكون سببُ الضحك التلاعبَ بالألفاظ والجمل، كالجمع بين جمل لا تربطها رابطة وإنما هي مفارقات، أو إجابة تكون عكس ما يُنتظَر في مثل هذا الموقف، أو نقل لفظ من معناه إلى معنى آخر، أو الانتقال من المعنويات إلى الماديات... وقد يكون سبب الضحك الأخلاق التي تثير فينا السخرية من صاحبها، كضحكنا من المزهو بنفسه على غير أساس، والرجل الشديد الأنانية والطماع الشديد الطمع ونحو ذلك."[٤]

وفسر بعضهم الفكاهة الكلامية بأن من أسبابها احتمال اللفظ لمعنيين؛ فهي "تقوم على عملية التكثيف، لأننا نحمل اللفظ الواحد معنيين، فنجعل الذهن ينتقل في لحظة واحدة من معنى إلى آخر، وبذلك ننتزع منه استجابة الضحك"[٥]

ويمكن إجمال الآراء السابقة في تفسير الفكاهة الكلامية أنها تشترك في أمور، من أهمها:

أ- المفارقة، وهو أهم عنصر ركز عليه الباحثون، ويدخل ضمن هذا العنصر، فكرة اللعب بالمعاني، وعدم المطابقة بين المقام والمقال، أو السؤال والجواب.

ب- أن ما عبر عنه باللعب بالألفاظ أو الاشتراك اللفظي، يدخل ضمن المفارقة، حيث تحدث المفارقة بين معنى اللفظ الذي في ذهن المتلقي والمعنى الذي يقصده المرسل،

ت- ما عبر عنه بالتخلص الفكه يدخل ضمن المفارقة، وذلك حين يكون الرد مخالفا للمتوقع من السؤال.

ث- المفاجأة، وهو عنصر ناشئ في الأغلب عن المفارقة، ونتيجة عنها، فالمفارقة وعدم المطابقة بين اللغة المتوقعة واللغة الحاصلة المفهومة يحدث عنصر المفاجأة.

---

(١) احمد الحوفي، الفكاهة في الأدب العربي ص١٦٤

(٢) المرجع السابق، ص٨١

(٣) شاكر، الفكاهة والضحك رؤية جديدة، ص٢٨٩

(٤) أحمد أمين، فيض الخاطر،١٨٤/٧

(٥) إبراهيم زكريا، سيكولوجية الفكاهة، ص١٨٤

ج- المبالغة في تضخيم العيوب أو الشعور من حب ورغبة أو خوف ورهبة، هذه المبالغة تدفع إلى تجاوز الحد المعقول في الردود والأوصاف والصور، مما يحدث المفارقة بين المتوقع والمسموع من المتفكه.

ثالثا: التعريف بكتاب "التطفيل وحكايات الطفيليين ونوادرهم وأخبارهم للبغدادي":

اهتمت كتب الأدب العربي في العصور المختلفة بظاهرة التطفيل، وذكر أخبار الطفيليين فشغلت أخبارهم وقصصهم وحواراتهم وأشعارهم حيزا من تراثنا، من ذلك باب في "العقد الفريد" لابن عبد ربه وفي "نهاية الأرب" للنويري و"ثمرات الأوراق" لابن حجة الحموي و"زهر الآداب" للحصري القيرواني.

أما الخطيب البغدادي فقد أفرد كتابا عن التطفيل سماه "التطفيل وحكايات الطفيليين ونوادرهم وأخبارهم" وهو من الكتب الفريدة في هذا المجال، والتي وصلت إلينا، طبع غير مرة، وهو كتاب أدب ومُلَح، بدأ الخطيب كتابه بمقدمة ذكر فيها سبب تأليفه لهذا الكتاب، وذكر معنى التطفيل في اللغة، ثم عقد عناوين للحكايات التي ساقها عن الطفيلين، وأورد بعض الأحاديث النبوية المناسبة تحت بعض العناوين، ثم أورد الحكايات والأخبار والأشعار بأسانيدها"[١]

والأخبار الواردة في الكتاب تتنوع بين أخبار الظراف والمخادعين والمحتالين الذين يجمع بينهم عنصر واحد مشترك هو التطفيل، ويحرص الخطيب البغدادي من بداية كتابه على ذكر مصادر أخباره؛ لأنه محدّث يهتم بصحة الأخبار والروايات[٢]، ويورد في سبيل ذلك سلسلة السند التي ينتهي إليها الخبر[٣]، حتى إنه أحيانا يروي الخبر الواحد غير مرة بسند مختلف[٤]؛ ليؤكد صحته، ويقطع بثبوته، مما يؤكد على أن الأخبار المروية عن الطفيلين ليست مجرد نوادر وملح فكاهية، بل تمثل سجلا تاريخيا واجتماعيا للفترة التي جرت فيها.

وقد خصّ البغدادي هذا الكتاب بفئة اجتماعية عاصرها، وسمع بقصصها، وحرص على توثيق أخبارها بالأسانيد، فأحداثها واقعية' وشخصياتها حقيقية[٥]، ومن ثم وسم مؤلفه بها، فكان الإضحاك أحد الأسلحة المتنوعة التي أشهرها في كتابه ضد التطفيل والمتطفلين، حيث عمد إلى بيان موقف الشرع من فعلهم، وبيان استهجان المجتمع لصنيعهم وإجماعهم على ذمه. فالتطفل خاصية سلوكية ممقوتة في مقابل التعفف والحياء، وهي سلوكيات عربية أصيلة ومحمودة.

وقدّم البغدادي لكتابه بمقدمة ذكر فيها أسباب تأليفه للكتاب، والفئة التي تدور حولها أبوابه وموضوعاته، كما ذكر فيها فوائد سماع الملح والنوادر، وكأنه يدرأ عن كتابه تهمة التفاهة وقلة الفائدة، ودنو الغاية، فقال:" ولم تزل أفاضل

(١) ينظر: التطفيل، مقدمة المحقق، ص٢٥
(٢) ينظر: التطفيل، ص٣٣
(٣) ينظر: التطفيل ص، ٥٤ وما بعدها، ص٨٣ ومابعدها
(٤) ينظر: التطفيل ص ١٠٨، ١٠٩
(٥) التطفيل ص٤٩، ٥٤، ٨٣

الناس وأكابرهم تعجبهم الملح، ويؤثرون سماعها، ويهشون إلى المذاكرة بها، لأنها جمام النفوس ومستراح القلب، وإليها تصغي الأسماع عند المحادثة، وبها يكون الاستمتاع في المؤانسة"[١]

ومما يتميز به الكتاب أن صاحبه اهتم بالجانب اللغوي لموضوع الكتاب[٢]؛ فشرح معنى التطفيل في اللغة، وأورد أقوال العلماء في ذلك، فذكر ما قاله الأصمعي غي تفسير الطفيليّ: "الطفيلي الداخل على القوم من غير أن يدعى، مأخوذ من الطّفل، وهو إقبال الليل على النهار بظلمته، وأرادوا أنّ أمره يُظلم على القوم، فلا يعلمون من دعاه، ولا كيف دخل إليهم"[٣]

وأورد البغدادي أسماء أخرى تطلق على هذه الفئة فقال:" والعرب تسمي الطفيليّ: الرائش والوارش، والذي يدخل على القوم في شرابهم ولم يدعَ إليه الواغل"

وقيل: إن سبب تسميتهم بذلك أنهم" نسبوا إلى طفيل العرائس، رجل كان بالكوفة يحضر الولائم من غير أن يدعى إليها"[٤] وكان هذا الطفيلي أولهم يقول صاحب العقد الفريد عنهم:" أولهم طفيل العرائس، وإليه نُسِب الطفيليون، وقال لأصحابه: إذا دخل أحدكم عرسا فلا يتلفّت تلفت المريب، وليتخير المجالس؛ وإن كان العرس كثير الزحام فليمض ولا ينظر في عيون الناس، ليظنّ أهل المرأة أنه من أهل الرجل؛ ويظن أهل الرجل أنه من أهل المرأة"[٥]

وينقل رواية أخرى عن الأصمعي بسندها تؤكد هذا المعنى:" قال الأصمعي: أول من طفَّل: الطُّفيلُ بن زلال، وأول من زلّ: أبوه؛ فسمي التطفيل به، والزلُّ[٦] بأبيه"[٧]

وينطلق الطفيلي من فلسفة يسوغ بها لنفسه هذا الصنيع، يمثلها قول أحدهم:" والله ما بُنيت المنازل إلا لتُدخل، ولا نُصبت الموائد إلا لتؤكل، وإني لأجمع في التطفيل خلالاً، أدخل مُجالِسًا، وأقعد مستأنسًا، وأنبسط وإن كان رب الدار عابسًا، ولا أتكلف مغرمًا، ولا أنفق درهمًا، ولا أتعب خادمًا."[٨]

وقد كثر التطفيل في العصر العباسي نتيجة لفقر كثير من عامة الناس وحاجتهم، ونظرهم إلى كبار القوم وما يقدم على موائدهم من ملاذ الطعام والشراب، فكان أصحاب الأعراس والمناسبات يضعون بوابين يحجبون غير المدعوين من الدخول فيضطر الطفيليون إلى اللجوء للحيل، يقول أحدهم[٩]:

---

(١) التطفيل، ص٤٥
(٢) التطفيل، ص ٢٦
(٣) التطفيل، ص٤٦
(٤) التطفيل، ص٤٧
(٥) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ١٣٦/٤
(٦) الزلّ: حمل الطعام من الولائم ونحوها.
(٧) التطفيل، ص٤٨
(٨) محمد قره علي، الضاحكون، ص ٢٣٥
(٩) التطفيل، ص١٣٤

كل يوم أدور في عرصة البا ب أشم القتار شم الذبــاب

فإذا ما رأيت آثـــار عرس أو ختان أو دعوة لصحـاب

لم أعرج دون التقحم فيهـا غير مستـأذن ولا هيــــاب

مستخفا بمن دخلت عليـه لست أخشـى تجهم البـواب

فتراني ألف بالرغـم منـــه كل ما قدموه لـف العقـاب

وكان البغدادي عزيز نفس، ينفر من المسألة والمذلة، ولا يقبل الأعطيات، ولا يحب أن يسأل الناس شيئا من الدنيا، ولعل هذا كان دافعا لتأليف هذا الكتاب، والتوجه لجمع مثل هذه الأخبار، للتنفير من صفة التطفيل، وتعزيز مبدأ التعفف والاستغناء، وهذا التصور إنما جاء من أمور من أهمها تلك القصة التي رواها الفضل النسويّ عندما كان مع الخطيب في جامع صور، فدخل عليه علويّ وفي كمه دنانير، وقال له: هذا الذهب تصرفه في مهماتك، فقطب الخطيب، وقال: لا حاجة لي فيه، فقال العلوي: كأنك تستقله، فنفض كمه على سجاد الخطيب وإذا هي ثلاث مائة من الدنانير، فخجل الخطيب وأخذ سجادته وخرج من المسجد، فيقول الفضل معلقا: "فما أنسى عزّ خروجه وذل العلويّ وهو يجمع الدنانير"[١]

ومما يتميز به هذا الكتاب ويحسب لصاحبه أنه سعى لتحقيق قيم تربوية من خلال كتابه، على الرغم من أن الموضوع الذي يتناوله الكتاب موضوع لا يتناسب مع الذوق العام وأخلاقيات المجتمع، ومن قبل ذلك توجيهات الدين الإسلامي، لذا فهو لم يقصد إلى عرض نوادر الطفيلين ونقل ما تثيره من دعابة وإضحاك فحسب، وإنما قدم بأبواب تتضمن ذمًّا لهذا السلوك الفردي ونمط الشخصية الواردة " باب في التغليظ على من أتى طعاما لم يدعَ إليه"[٢] وأورد فيه أحاديث مروية عن الرسول صلى الله عليه وسلم تتوعد صاحب هذا السلوك بالعقاب وسوء الجزاء.

وخصص بابا آخر" فيمن دعي إلى طعام فأراد أن يستصحب معه غيره، والسنة استئذان الداعي له في ذلك"[٣] ومن عنايته ببيان موقف الشرع والمجتمع من هذا العمل دعّم ذلك بباب " في مَن ذم التطفيل وأصحابه، وهجا به غيره وعابه"[٤] ليؤكد استهجان عمل هذه الفئة وعدم إقرار الشرع والمجتمع لصنيعها.

كل ذلك كان عناية منه بالجانب الأخلاقي، وليحقق الكتاب غرضا تربويا اجتماعيا، وليس إيراد الملح الطرائف فقط. فهي تقدم في قالب السخرية من هذه السلوكيات التي تمثل هي ظواهر متفشية في المحيط الاجتماعي، والثقافي يلجأ الساخر إليها ليغير من هذه السلوكيات المنبوذة، ويحاول التنفير منها

---

[١] التطفيل، ص٣٤ بتصرف
[٢] التطفيل، ص٦٠
[٣] التطفيل، ص٥١
[٤] التطفيل، ص ٧١

إلا أن الحجاج أو الإقناع بالسخرية يتميز عن غيره من أنواع الحجاج التي ذكرها واستند إليها من أدلة شرعية وتعارف مجتمعي "فالسخرية بالمخاطب هو في الوقت ذاته إثبات لتفوقه عليه، غايته التأثير، وحمل السامعين على الإقبال على القضايا التي تعالجها باعتبارها مقوما حجاجيا، وميزة أخرى نرى السخرية تتمتع بها هي شكلها المختصر والمحدد الذي ترد فيه، مما يسمح للذاكرة باحتوائها واستيعابها بسرعة، التي تجعلها أكثر وأشد تأثيرا"[١]

المبحث الأول:

الاستلزام الحواري والحمولة الدلالية للنادرة في كتاب التطفيل وحكايات المتطفلين .

إن "الفكاهة الكلامية" التي تمثلت في صورة نادرة أو دعابة أو طرفة في كتب الأدب العربي لم تكن مجرد حوارات شاعت فيها المداعبة وعمّ الضحك، أو مجاراة الأطراف لبعضها في الحديث، الأمر أعمق من ذلك، فهذه الحوارات سارت وفق مسارات مخصوصة جعلت منها حوارا مثيرا للضحك أو الابتسام، وقد ظهرت نظرية الاستلزام الحواري في اللسانيات الحديثة، لتقدم تفسيرا علميا مقبولا لإثارة مثل هذه الحوارات للضحك، بما قدمته من تصور ومبادئ تضمن نجاح الحوار وسلامته وجديته في حال الالتزام بها، وتوليد أمور أخرى من أهمها: الضحك أو الفكاهة في حال انزياح الكلام عنها أو خرقها.

مع التنويه إلى أن هذا البحث يتجه إلى التركيز على فكاهة الكلمات أو "الفكاهة الكلامية" تمييزا عن صور الفكاهة الأخرى التي يكون مردها إلى الأحداث أو المواقف، من ذلك ما رواه البغدادي أنه: "قيل لنوح الطفيليّ: كيف تصنع إذا لم يتركوك تدخل إلى عرس؟ قال: أنوح على الباب حتى يتطيروا مني فيدعوني"[٢] فمثير الفكاهة هنا في "فكاهة الحدث" لم ينشأ من الإخلال بمبدأ من مبادئ الحوار، وإنما نشأ من الموقف المشاهَد لمن رآه أو المتخيل لمن يسمع النادرة أو يقرؤها.

أ. مفهوم الاستلزام الحواري ونشأته:

الاستلزام الحواري هو أحد أبرز المفاهيم التداولية[٣]، وأهم مباحثها، وأقربها إلى طبيعة البحث التداولي، ويقوم على فكرة "لزوم شيء عن طريق قول شيء آخر، أو قل إنه شيء يعنيه المتكلم ويوحي به ويقترحه، ولا يكون جزءا مما تعنيه الجملة بصورة حرفية"[٤] "وتتمحور فكرته حول العلاقة بين المتكلم والمخاطب، وتحديد دلالات الخطاب عن طريق التفاعل بينهما، فالمتكلم لا يبني كلامه بعزلة عن العالم الخارجي، أو عن المخاطب بصورة خاصة، بل على ضوء الفرضيات التي بناها مسبقا عن المتلقي وشخصيته الثقافية والاجتماعية وقدراته الفكرية على استنباط

---

(١) معاذ مراد مقري، الخطاب الحجاجي في السرد الجزائري المعاصر قراءة مقطوعة من رواية مقامات الذاكرة المنسية لـ حبيب مونسي، ص٥٦

(٢) التطفيل، ص١١٩

(٣) ينظر: Paul Grice,(1991) Studies in the Way of Words, Harvard University Press, UK: London, P24
فليب بلانشيه، التداولية من أوستن إلى غوفمان، ترجمة صابر الحباشة، ص ٨٤

(٤) صالح إسماعيل، نظرية المعنى في فلسفة بول غرايس ، ص٧٨

المعاني والاستدلال عليها، وهذا يعني أنه " يولي قصدية المتكلم أو ما يسمى بالدلالة غير الطبيعية اهتماما كبيرا(١)"

ويعد الفيلسوف بول جرايس أول المنظرين لهذا المفهوم في الدرس التداولي الغربي الحديث، إذ "ترجع نشأة البحث فيه إلى المحاضرات التي دعا بول جرايس إلى إلقائها في جامعة هارفارد سنة ١٩٦٧م، قدم من خلالها تصوره بإيجاز لهذا الجانب من الدرس، والأسس المنهجية التي يقوم عليها، طبعت أجزاء مختصرة منها سنة ١٩٧٥ في بحث بعنوان: "المنطق والحوار" وقد وسع بعد ذلك في بحثين: الأول سنة١٩٧٨م والثاني ١٩٨١م، (٢)ويتمثل مفهوم نظرية جرايس في " أن الناس في حواراتهم قد يقولون ما يقصدون، وقد يقصدون أكثر مما يقولون. وقد يقصدون عكس ما يقولون فجعل كل همه إيضاح الاختلاف بين ما يقال...وما يقصد، فما يقال هو ما تعنيه الكلمات والعبارات بقيمها اللفظية...وما يقصد هو ما يريد المتكلم أن يبلغه إلى السامع على نحو غير مباشر، اعتمادا على أن السامع قادر على أن يصل إلى مراد المتكلم بما يتاح له من أعراف الاستعمال ووسائل الاستدلال".(٣)

ب . مبادئ الاستلزام الحواري:

- المبدأ الأول: مبدأ التعاون cooperative principle :

ويرى جرايس أن من أهم المبادئ لتحديد القصد من الكلام، وحل مشكلة سوء التفاهم الذي تنشأ بين الناس مبدأ التعاون؛ إذ "تتمثل الفكرة الأساسية في مفهوم "حكم المحادثة" في أن المتخاطبين عندما يتحاوران، إنما يقبلان ويتبعان عددا معينا من القواعد الضمنية اللازمة، لاشتغال التواصل، والمبدأ الأساسي هو: مبدأ التعاون "(٤) الذي يضمن أن يكون الاتصال بين المتخاطبين ناجحا في ظل اضطرابات المحادثة بين المتكلم والمخاطب(٥).

وبهذا فإن الخطاب مبني على مجموعة من القواعد والمبادئ التي يسعى المخاطب من خلالها إلى إنجاح العمليات التواصلية الخطابية، ومن أهم هذه المبادئ التي تهتم بها التداولية مبدأ التعاون؛ فهو مبدأ مهم في إنجاح المحادثة، وانبثقت تسميته بالتعاون من منطلق أن المتحادثين يتعاونون لاستمرار الحديث من خلال المساهمة والمشاركة في الحدث الكلامي المتواصل، وتحقيق التعاون بين أطراف الحوار في سياق محدد، وإيجاد نوع من الانسجام بينهما.

---

(١) بشرى البستاني، التداولية في البحث اللغوي والنقدي، ص ٨٦

(٢) محمود أحمد نحلة، أفاق جديدة في البحث اللساني المعاصر، ص ٣٢ ، وينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص٣٣

(٣) محمود أحمد نحلة، التعريف والتنكير بين الدلالة والشكل، ص٣٣

(٤) Paul Grice, (1991) Studies in the Way of Words, Harvard University Press, UK: London, P24
فليب بلانشيه، التداولية من أوستن إلى غوفمان، ص ٨٤

(٥) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص٣٣، والاستلزام الحواري في التداول اللساني، ص٣٩

ويصاغ مبدأ التعاون على النحو الآتي: "ينبغي أن تكون مساهمتك الحوارية بمقدار ما يطلب منك في مجال يتوسل إليه بهذه المساهمة، تحدوك غاية الحديث المتبادل أو اتجاهه، أنت ملتزم بأحدهما في لحظة معينة[١]" وهذا يقتضي أن تجعل إسهامك في التخاطب بحسب الحاجة؛ أي يقع في الحال التي ينبغي أن يقع فيها، وفقا للغرض المقبول، ووفقا لاتجاه المبادلة الكلامية.

وقد أنشأ جرايس أربع مبادئ متفرعة عن المبدأ العام "مبدأ التعاون " ليتمكن من وصف ظاهرة الاستلزام الحواري، وهي[٢]:

أ- مبدأ الكم quantity principle

اجعل إسهامك في الحوار بالقدر المطلوب من دون أن تزيد عليه أو تنقص منه فيقول المتكلم ما هو ضروري بالقدر الذي يضمن تحقيق الغرض.

ب- مبدأ الكيف: quality_principle

لا تقل ما تعتقد أنه كاذب، ولا تقل ما لا تستطيع البرهنة على صدقه، فالمحاور لا ينجح في حواره بما يراه كذبا أو غير إقناعي وبما لا يستطيع البرهنة عليه لأنه يضعف حجته.

ج- مبدأ الطريقة: manner principle

كن واضحا ومحددا وأوجز، ورتب كلامك، فيجب تجنب الإبهام واللبس والاضطراب في الترتيب والخلل المنطقي في الحوار.

د- مبدأ المناسبة: relevance principle

اجعل كلامك مناسبا للموضوع، فيجب أن يكون الكلام مناسبا لسياق الحال، وهو السياق البراجماتي، فيجب أن تكون المشاركة في موضوع الحوار مناسبة ومفيدة.

ومبدأ (التعاون) يتجسد في هذه المبادئ الأربعة الفرعية[٣]، وقد سماها مسعود صحراوي بـ"المسلمات الحوارية"[٤] ويعطي خرق هذه المبادئ استلزاما Implicature عند المتكلم بصدد ما يقصده؛ وهذا الاستلزام نحتاجه لفهم السبب في تلفظ المتكلم بهذا القول أو ذاك، أو لفهم الكيفية التي أنتج بها المتكلم قوله.[٥]

---

(١) العياشي أدراوي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني، ص ٩٩

(٢) Paul Grice,(1991) Studies in the Way of Words, Harvard University Press, UK: London, P24
وينظر: محمد عكاشة، النظرية البراغماتية اللسانية(التداولية)، دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، ص ٩١-٩٢

(٣) ينظر: في مبدأ التعاون وقواعده: بول غرايس، المنطق والمحادثة، ترجمة، محمد الشيباني وسيف الدين دغفوس، ضمن كتاب، إطلالات على النظريّات الّسانيّة والدلاليّة في النصف الثاني من القرن العشرين، مختارات مُعرّبة بإشراف وتنسيق، عزّ الدين مجدوب، المجمع التونسي للآداب والفنون، ص، ٦٢٢-٦٣٦. و آن روبول وجاك موشالر، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص٥٥، ومحمود نحلة، التعريف والتنكير بين الدلالة والشكل، ص ٣٣

(٤) محمد عكاشة، النظرية البراغماتية اللسانية(التداولية)، دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، ص ٩١-٩٢

(٥) عبد المجيد جحفة، مدخل إلى الدلالة الحديثة، ص٣

ويوضح طه عبد الرحمن أهمية هذه القواعد في الحوار، فيقول:" لقد أريد بهذه القواعد التخاطبية أن تنزل منزلة الضوابط التي تضمن لكل مخاطبة إفادة تبلغ الغاية في الوضوح، بحيث تكون المعاني التي يتناقلها المتكلم والمخاطب معاني صريحة وحقيقية، إلا أن المتخاطبين قد يخالفان بعض هذه القواعد ولو أنهما يدومان على حفظ مبدأ التعاون، فإذا وقعت هذه المخالفة فإن الإفادة في المخاطبة تنتقل من ظاهرها الصريح والحقيقي إلى وجه غير صريح وغير حقيقي، فتكون المعاني المتناقلة بين المتخاطبين معاني ضمنية ومجازية، كما إذا قال القائل: "لقد اشتد الحر بنا في هذا المكان"، وهو يقصد أن يبادر أحد المستمعين إلى فتح النافذة؛ فهذا القول في ظاهره خبر يخل بقاعدة الكم، إذ يخبرنا بما نحن على علم به، لكنه في باطنه طلب نهتدي إليه بافتراض أن القائل يأخذ بمبدأ التعاون" [١]

المبدأ الثاني: مبدأ التأدب:

لاقى مبدأ التعاون قبولاً من النقّاد والباحثين في تحليلِ الخطابِ، وفتح الباب أمامهم لمزيد من البحث حول أهميّته والكشف عن جوانب من نقصه، ومِن أبرز هؤلاء النقّاد "روبن لاكوف "(Robin Lakoff) التي ثمّنت إضافات "جرايس" وَوَجَّهَت إليها النَّقود في الوقت نفسه، لأن "لاكوف كانت ترى: " أنّ مبدأ التَّعاون ظلّ على أهميّته قاصرا عن إدراك خصوصيّات المحادثة جميعها، فلئِن كَان أقصى همّ غرايس هو إظهارُ كيف نَكون مُتعاونين في الخِطَاب، حَرِيصِين على إخراجِ المحادثة في مشهد تواصلي جذّاب يسرُّ المستمعين (وربما النّاظرين إذا كان الخطاب مدوّنا)، فإنّه قد غضَّ الطرف في المقابل عَن جانب آخر لا يقلُّ قِيمة عن التّواصل في الخطاب ألا وهو التّهْذِيب، أو الجانب الأخلاقيُّ التهذيبيُّ، انطلقت لاكوف وصاغت مبدأها، وأطلقت عليه: التَأَدُّبِ (The Logic of Politeness)، وَأَشَارَت إلى "أنّ المتخاطبين في تبادلاتهم الكَلاَمِيّة يحرصون غالباً حرصاً شَدِيداً على الالتزام بقدر كبير من الأدب والبُعْدِ عن العدوانِيّةِ أكثر مما يتوخون الوضوح"[٢].

وقَسَّمتْ "لاكوف" مبدأ التَأَدُّبَ إلى قواعدِ ثلاثٍ رئيسةٍ هي على التّوالِي: التعفف، التشكك، التودد

أ- قاعدة التعفف: وهي لاتفرض نفسك على المخاطب، أي لتبق متحفظا ولا تتطفل على شؤون الآخرين .خذ قراراته بنفسه، ودع خياراته مفتوحة ومدارُ هذه القاعدةِ أنْ يكون المتكلّمُ جديّاً في خِطابِهِ، مُلتزماً بالشكليّاتِ فيه ومُظهراً قدراً مِنَ التحفّظ في تدخّلاتِهِ، جاعلاً بينه وبين السّامعِ مسافةً مِنَ الودّ والاحترامِ.

ب- قاعدة التشكيك (التخيير): وهي لتجعل المخاطب وتقضي هذه القاعدة بأن يترك المتكلم للمخاطبّ مبادرة اتخاذ قراراته بنفسه.

---

[١] طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص ٢٣٩.

[٢] Robin Lakoff: The Logic of Politeness.In Papers from the Ninth Regional Meeting. Chicago Linguistic Society.Chicag. .

ج . قاعدة التّودد: وتوجب هذه القاعدة على المتكلم أن يظهر الود للمخاطب؛ فيعامله معاملة النظير للنظير.
يتضح مما سبق أن مبدأ التأدب الذي أضافته "لايكوف" يتميز عن مبدأ التعاون الذي اقترحه "غرايس" بأن التأدب يجمع بين الجانبين التبليغي والتهذيبي من الخطاب، بالإضافة إلى أنه يتضمن قواعد تنظم هذا الجانب الذي أهمله "غرايس" في مبدأ التعاون.

ثانيا: الحمولة الدلالية للنادرة في كتاب التطفيل وحكايات المتطفلين للبغدادي

أ. طبيعة الحمولة الدلالية في نظرية الاستلزام الحواري:

بناء على التصور الذي قدّمه جرايس لنظرية الاستلزام الحواري يكون للكلام جانبان: القصد والقول، أما القصد فهو ما أراد المتكلم إيصاله إلى السامع من خلال التأويل الذهني، بينما القول هو ما أشار إليه تركيب النص حرفيا، ويرى جرايس أن أي انزياح كلامي عن المبادئ الأربعة يؤدي إلى خروج الكلام عن معناه القضوي (الحرفي)[١]إلى المعنى الضمني غير المباشر، والذي يتمثل في استلزام الكلام معنى آخر، وهو ما يسمى بـ (الاستلزام الحواري)[٢]،وهذا يعني أن الحمولة الدلالية للعبارة من منظور الاستلزام الحواري تنقسم إلى معان صريحة ظاهرة، وأخرى ضمنية تفهم دلالتها من خلال السياق الذي وردت فيه، وهي كالآتي:[٣]

١. المعاني الصريحة: هي المدلول عليها بصيغة الجملة ذاتها، وتشمل ما يأتي:

أ– المحتوى القضوي: وهو مجموع معاني مفردات الجملة مضموم بعضها إلى بعض في علاقة إسناد

ب– القوة الإنجازية الحرفية: وتتمثل في القوة الدلالية التي تشير إليها عن طريق أدوات مثل: الاستفهام، الأمر، النهي ...وغيرها .

٢. المعاني الضمنية: هي المعاني التي لا تدل عليها صيغة الجملة بالضرورة، ولكن للسياق دخل في تحديدها والتوجه إليها، وتشمل ما يأتي:

معاني عرفية: وهي الدلالات التي ترتبط بالجملة ارتباطا أصيلا، وتلازم الجملة ملازمة في مقام معين مثل: معنى الاقتضاء.

– معاني حوارية: وهي التي تتولد طبقا للمقامات التي تنجز فيها الجملة مثل: الدلالة الاستلزامية.

وهذه المعاني الضمنية هي" ما يرمي إليه المتكلم بشكل غير مباشر جاعلا مستمعه يتجاوز المعنى الظاهري لكلامه إلى معنى آخر"[٤] وهي تمثل الجزء الأهم من الدلالة والأكثر قوة وتأثيرا في مجريات الحوار وتحقيق مقاصد المتكلم.

---

(١) ينظر: أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية: مدخل نظري، ص٢٦

(٢) ينظر: التداولية من أوستن إلى غولفمان، ص٨٥

(٣) مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، ص٣٥

(٤) العياشي أدراوي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني، ص١٨

ب . المعاني الصريحة والمعاني الضمنية للنادرة في كتاب التطفيل وحكايات المتطفلين للبغدادي

توصف حكايات الطفيليين بالنوادر الطريفة، أو الملح المسلية التي تميل إلى المرح والفكاهة، وإدخال السرور على نفس السامع والقارئ[١]،وهي في الوقت نفسه تحمل دلالات اجتماعية متنوعة، لأن الفكاهة ترتبط بالمجتمعات وعاداتها وتقاليدها، فما يكون مضحكا في مجتمع قد لا يكون مضحكا في آخر، فلكل مجتمع عادات وتقاليد وثقافة تختلف عن غيره من المجتمعات، فوجود التطفيل على سبيل المثال يشير إلى اتصاف العرب بالكرم، وكثرة الاستضافة وإقامة الولائم، وإكرام الحاضرين من مدعوين وغيرهم، وهذا ما عكسته نوادر الطفيلين فجزء كبير منها ينتهي بإكرام صاحب الدعوة للطفيلي وتمكينه من الطعام والشراب حد الاكتفاء، ولو لم يمكن ذلك من عادات العرب وخصالهم لما انتشرت هذه الفئة أو تجرأت على المغامرة في كل مرة، حتى صار منهم مشهورين بالتطفل، يقضون جلّ وقتهم عليه.

والحقيقة أن نوادر الطفليين وأخبارهم جديرة بالدراسة من منظور الاستلزام الحواري لما تزخر به من حوارات تنشأ بين الطفيليّ وشخصيات أخرى تستثيره في الحوار لتستمتع بطرافة إجاباته، أو تمنعه من الدخول إلى الوليمة، أو تؤنبه على تطفله وتحاول إقناعه بالكف عن ذلك، وبالنظر إلى البنية الحوارية في النادرة نجد أن الحمولة الدلالية فيها تتضمن معاني صريحة تعبر عنها مفردات الجملة وما يربط بينها من علاقات، ومعاني أخرى ضمنية، يتوصل إليها بخرق أحد مبادئ الاستلزام أو بعضها، مع أخذ السياق وما يحمله من معطيات بعين الاعتبار.

وغالبا فإن أحد أطراف الحوار يعمد إلى ذلك الخرق بغية تحقيق أغراض ودلالات أخرى لا يصل إليها إلا بانتهاك بعض المبادئ الفرعية أو جميعها في أثناء عملية التواصل، و" متى بدا من أحدهما ظاهر الإخلال بهذه القاعدة أو تلك وجب على الآخر أن يصرف كلام محاوره عن ظاهره إلى معنى خفي يقتضيه المقام، وهذا المعنى المصروف إليه يحصل بطريق الاستدلال من المعنى الظاهر ومن القرائن"[٢]

وانطلاقا من مفهوم غرايس السابق الذي يرى أن المعاني الصريحة تدرك بواسطة ما يقال، أما القوة المستلزمة الضمنية فإنها تدرك بواسطة السياق والملابسات المختلفة التي تحدد المقاصد، ويرتبط اكتشافها وإدراكها بالذكاء العام للمخاطب، ومن ثم فإن المتخاطبين يتطلب منهم الصدق والوضوح ومراعاة المناسبة لتصل الرسالة التي تحملها العبارة، وأي إخلال بهذه العناصر يولد خرقا لهذه المبادئ وتتحمل العبارة معاني أخرى ضمنية مستلزمة غير تلك المعاني الصريحة، وسنعرض فيما يأتي لنماذج من نوادر الطفيليين للوقوف على الحمولة الدلالية التي تحملها تلك النوادر وتصنيفها إلى معان صريحة ومعان ضمنية بالاحتكام إلى السياق بنوعيه اللغوي وغير اللغوي.

---

[١] ينظر: البغدادي، التطفيل، ص٢٨

[٢] طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص١٠٤

-"قال أبو بُرْدَة لابن السماك: ما تقول يا أبا العباس في جُوزِينج رقَّ قشرُه، واشتدت عذوبته، غريق في سكر ودهن لوز؟ قال: أي أخي! ما أشد الوصف إذا لم أرَ معه الموصوف! فإن كان الذي ذكرت حاضرا فمنظره أحبُّ إلينا من وصفه، وإن لم يكن حاضرا فلْيَفُتنا وصفه كما فاتنا منظره"[١]

يتمثل المعنى الصريح للحوار السابق في الرغبة في رؤية نوع الحلوى الموصوف، بدلا من سماع وصفه، لأن في ذلك أذية للسامع.

أما المعنى الضمني المستلزم فهو طلب إحضار هذا النوع من الحلوى لشدة الرغبة في أكله، يدرك هذا المعنى بالنظر في المقام والسياق اللغوي وغير اللغوي، فمعلوم أن السائل يخاطب طفيليّا؛ لذا استفزه بهذا السؤال متوقعا طرافة وظرافة الجواب، أما المسؤول فهو طفيلي يروم الوصول إلى الطعام عامة والحلوى خاصة، ويسأل بطريقة غير مباشرة عن كون هذه الحلوى موجودة؟ والقوة الإنجازية الحرفية لأسلوب الاستفهام الذي طرحه الطفيلي تحمل معنى ضمنيا أقوى منها وهو طلب إحضار الحلوى.

وقد أدى الطفيلي المعنى بطريقة أكثر وقعا في نفس السائل، وأكثر تأثيرا عليه، مستندا إلى قوة المعنى الضمني المستلزم عن الحقيقي.

-"قال لنا أبو العباس- يعني المبرد-: ضاف رجل قوما فكرهوه، فقال الرجل لامرأته: كيف لنا بعلم مقدار مُقامه؟ قالت: ألقِ بيننا شرَا حتى نتحاكم إليه، ففعلا، فقالت للضيف: بالذي يبارك لك في غُدُوك، أيُّنا أظلم؟ فقال الضيف: والذي يبارك لي مُقامي عندكم شهرا، ما أعلم"[٢]

يتمثل المعنى الصريح في السؤال الذي ألقي على الطفيلي: وهو أيّنا أظلم؟ وتؤدي القوة الإنجازية الحرفية لأسلوب الاستفهام معنى السؤال الظاهر عن تعيين المخطئ من المتخاصمين؟

أما المعنى الضمني المستلزم الذي يحمله الحوار فهو التلميح للطفيلي برغبتهم في مغادرته للبيت بعد أن طال مكثه، ويلاحظ هنا ذكاء الطفيلي وفطنته في الردّ، حيث تنبه إلى كلمة" غُدُوك" وأبدلها بكلمة "مقامي" مدركا المعنى الضمني الحواري المستلزم، والذي توارى خلف المعنى الحرفي والمحتوى القضوي للحوار.

-"خرج بعضهم يعود مريضا في أقاصي الكوفة... فقال أبو حنيفة لأبي بكر الهذلي: إذا قعدنا فعرّض له بالغداء، فلما دخلوا وتحدثوا تلا أبو بكر: (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ...) ١٥٥/البقرة، إلى آخر الآية، ففطن المريض وتمطّى وتلا:(لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ..) ٩١/ التوبة، فقال أبو حنيفة: قوموا فما عند صاحبكم خير"[٣]

---

[١] التطفيل، ص١٠٥

[٢] التطفيل، ص٦٩

[٣] التطفيل، ص١٠٢

عمد الطفيليان في النادرة للتعبير عن رغبتهما في الطعام بواسطة آية قرآنية لها معناها الحرفي والصريح الذي يشير إلى سنة الله عزوجل في ابتلاء عباده بأنواع المصائب والمحن ومنها الخوف والجوع...، لكنهما أرادا معنى ضمنيا حواريا وهو التعبير عن الجوع، وقد ألمحا إليه بالآية الكريمة، أما الرد عليهما فقد جاء بآية قرآنية أيضا مراعاة للمشاكلة، وهي تحمل معنى ضمنيا حواريا وهو الاعتذار عن تقديم الغداء بسبب المرض.

-ومن ذلك أيضا: "سئل عباس المطفل: أي شيء أحب إليك أن يتفق؟ فقال دعوة قريبة في يوم مطير"[(١)]

إن المعنى الصريح لإجابة الطفيلي هو حصوله على دعوة قريبة من أحد الأشخاص تصادف يوما مطيرا، أما المعنى الضمني الذي يفهم من الحوار ومكوناته والسياق ومعطياته فهو الرغبة في الدعوة التي يطول أمدها لأنهم اعتادوا على عدم سماح المضيف للضيف بالخروج في اليوم المطير.

-" جاء طفيليّ إلى عرس، فمنع من الدخول، وكان يعرف أن أخا للعروس غائب، فذهب فأخذ ورقة... وليس في بطنها شيء، وجعل العنوان من الأخ إلى العروس، وجاء، فقال: معي كتاب من أخي العروس إليها؛ فأُذِن له، فدخل، ودفع إليهم الكتاب، فقالوا: ما رأينا مثل هذا العنوان، ليس عليه اسم أحد! فقال: وأعجب من هذا أنه ليس في بطن الكتاب ولا حرف واحد، لأنه كان مستعجلا؛ فضحكوا منه، وعرفوا أنه احتال لدخوله، فقبلوه"[(٢)]

في هذه النادرة يحتال الطفيلي بطريقة مضحكة، تداخلت فيها فكاهة الحدث مع فكاهة الكلام، إذ إن جوابه على سؤالهم عن عدم وجود اسم على الكتاب جاء مثيرا للضحك؛ فهو أكّد تعجبهم من هذا الكتاب لكونه فارغا من الداخل، لم يكتب فيه شيء، وزاد الأمر تأكيدا قوله:" لأنه كان مستعجلا".

وقد جاء المعنى الصريح لإجابة الطفيلي يحمل التعجب من عنوان الكتاب وفراغ محتواه، وتعليل ذلك باستعجال صاحبه، أما المعنى الضمني فيفهم من سياق الكلام أنه هو من كتب الكتاب ويعترف باحتياله بطريق غير مباشر، وهذا ما فهمه الحاضرون وجعلهم يضحكون.

المبحث الثاني: مبادئ الاستلزام الحواري في كتاب (التطفيل وحكايات المتطفلين)

إن من أهم المبادئ التي تركز عليها التداولية مبدأ (التواصلية) فهي تعنى بالمحاورين وما يجري بينهم من حوار والقواعد التي يجري عليها الحوار وتضمن فعاليته وتأثيره، وتكتنز أقوال الطفيلين وحكاياتهم بالحوارات، ويتبلور غالبا في الحوار الذي ينشأ بين الطفيلي وإحدى الشخصيات التي تلومه على تطفله، أو تحاول منعه من الدخول إلى الوليمة، أو زجره عن عمله هذا، ومن ثم يحاول الطفيلي أن يجيب إجابات تبرر ذلك السلوك، أو تكسر حدة الانفعال في الموقف بإجابات بعيدة عن السؤال، تأخذه لمنحى آخر، فينشأ حوار لغوي غير منضبط بين المتحاورين، وقد مرَّ في المبحث السابق الحديث عن مفهوم الاستلزام الحواري وأهم مبادئه في الحوار المثالي، ويأتي هذا

---

(١) السابق، ص١١١

(٢) التطفيل، ص١١٨

المبحث لدراسة مدى توافر مبادئ الاستلزام الحواري في حوارات الطفيليين، وأثر غيابها أو الانحراف عنها في إكساب النص اللغوي البُعد الفكاهي وخاصية الإضحاك، لاسيما وأن جرايس يرى أن الاستعارة والسخرية يمثلان انتهاكا صارخًا لمبدأ الكم[١]، وترتكز الدراسة على مبدأين رئيسين في الاستلزام الحواري، هما: (التأدب، التعاون) في نماذج من النوادر والأخبار الفكهة التي وردت في كتاب(التطفيل وأخبار الطفيلين) بغرض استجلاء أثر غيابها في إحداث عنصر الإضحاك في النادرة، مع التأكيد على أن النماذج المعنية هاهنا يرتبط عنصر الإضحاك فيها بالفكاهة الكلامية، وليس فكاهة الحدث، مما يجعل مبادئ الاستلزام الحواري حاضرة ومؤثرة.

أولا: مبدأ التعاون وفروعه:

أ . الإخلال بمبدأ الكم

يقوم هذا المبدأ على أن الإسهام في الحوار يكون بالقدر المطلوب دون زيادة أو نقصان فيقول المتكلم ما هو ضروري بالقدر الذي يضمن تحقيق الغرض، وينص هذا المبدأ على أن عملية التخاطب يجب أن تكون مفيدة، ويجب أن يكون الخطاب دالا على المطلوب، أي لا يفيد أكثر مما ينبغي[٢]، وقد يؤدي الإخلال بهذا الكم إلى استخفاف المتكلم بنفسه أو بالمخاطب.

ومن قصص الطفيليين " خرج طفيليّ مع نفر في سفر، فعزموا أن يُخرج كل واحد شيئا للنفقة، فقال كل واحد عليّ كذا، فلما بلغوا إلى الطفيليّ، قال لهم: عليَّ، وسكت، فقالوا له: فإيش عليك؟ قال: لعنة الله. فضحكوا منه وأعفوه من النفقة، وحملوه طول سفرهم"[٣]

إن انتهاك مبدأ الكم في النادرة هو الذي أنتج الفكاهة، حيث جاء الحوار ناقصا في البداية، وجاء الجواب غير كافيا، إذ كان منتظرا منه أن يحدد ما سيتكفل به في الرحلة، ولكن لم يقل شيئا واكتفى بـ "عليّ"، فلما سئل: إيش عليك؟ أجاب: لعنة الله، فأجاب داعيا على نفسه، وبهذا يظهر انتهاكه مبدأ المناسبة في هذه الإجابة، هو الذي أبرز الفكاهة، وولد الضحك، لأنه تخلص من حرج الموقف بإجابة غير مناسبة، أثارت الضحك ولطفت الموقف. وهذه الطرفة ربما تكشف عن سبب قبول الطفيلين في المناسبات، وتحملهم في الرحلات من قبل غيرهم، وهو حسّ الفكاهة التي تضفي المتعة وتلطف الأجواء بما يلقونه من تعليقات وإجابات، فيصير وجودهم مرغوبا محبوبا وسلوكهم مقبولا.

ومن النوادر التي يمكن تفسير الفكاهة وفق الإخلال بمبدأ الكم ما رواه البغدادي: " قيل لبُنان وقد أكل فأكثر: حسبك! لا يقتلك! فقال: إذا كان الأجل موقوتا، فلأن أموت شَبِعا ورِيًّا أحبُّ إليّ من أن أموت غَرَثا وجوعا"[٤]

---

[١] زفيري، اكتساب التداولية من منظور معرفي واجتماعي، ص ١١ ، ص ١٣٩

[٢] ينظر: العياشي أدراوي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني، ص ٩٩

[٣] التطفيل، ص ١١٢

[٤] التطفيل، ص١٢٨

جاء ردُّ الطفيلي بُنان زائدا عن القدر، فالحوار كان من الممكن أن يقف عن الرد بـ" حسنا" أو بالتوقف عن الأكل، ولكن الذي أنتج الفكاهة الإخلال بمبدأ الكم، المتمثل في زيادة الطفيلي كلاما عن اللفظ الكافي؛ للتعبير عن شعوره تجاه الطعام وحبه للأكل، لدرجة أنه يقبل بالموت ثمنا لذلك، فالموت في حالة الشبع أحبّ إليه من الموت جوعا، ويمكن القول بأنه أخلّ في هذه الزيادة بمبدأ الكيف أيضا، فقوله " فلأن أموت شَبِعا ورِيًّا أحبُّ" مخالفة صريحة وواضحة لأمر فطري وهو النفور من الموت والخوف منه، وهو مخالف لما يراه الناس ويعتقدونه، لأنهم يفرون من الموت على أيّ حال، لكنه رحب به في حال الشبع مقابل الجوع والعطش.

ب . الإخلال بمبدأ الكيف

ينهض مبدأ الكيف على قاعدتين: لا تقل ما تعلم كذبه، ولا تقل ما لا دليل عليه، وينص على أن تتصف مساهمة المتخاطبين بالصحة، ويهتم فيه بجانب الصدق طرحًا من المرسِل وإجابة من المستقبل[1]، ويدخل تحت ذلك ما يمكن أن نطلق عليه: مخالفة المرجعيات الثابتة، مثل القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، والوقائع والأحداث

يتمثل الإخلال بمبدأ الكيف جليّا في قول الطفيلي لكلام غير صحيح، أو قول ما لا دليل عليه، ومن ذلك: "سمع بنُان رجلا يقول: إن الدجال يخرج في سنة قحط معه جرادق أصبهاني، ومِلْح ذَرَآنيّ، وأنجذان سرخسي، فقال: هذا عافاك الله رجل يستحق أن يستمع له ويطاع"[2]

في الحوار السابق قال بُنان مالا يعتقد بصحته، فالدجال في عقيدة المسلم مأمور بأن يكذب ويحذر منه ولا يصدقه في كل ما يدعيه، ولكن بنان قال شيئا آخر، وخرق مرجعيات ثابتة وقال بخلاف ما يعتقده أو ماورد فيها، وجعل الدجال رجلا جديرا بالتصديق بسبب ما سيكون معه من أصناف أكل محببة وشهية.

ومن ذلك أيضا "سأل أبي بنانا وأنا أسمع: أتحفظ من كتاب الله شيئا؟ قال: نعم، آية، قال: ماهي؟ قال: (قال لفتاه آتنا غداءنا)٦٢/ الكهف، قال له أتحفظ من الشعر شيئا؟ قال: نعم، بيتا. قال: ما هو؟ قال:

نزورُكمْ لا نُكافيكم بجفوتكم   إنَّ المحبَّ إذا لم يُسْتزرْ زارا"[3]

نجد أن الطفيليّ أخلّ بمبدأين، أولهما مبدأ الكيف، لأن الجواب المتوقع أنه يحفظ سورة أو جزءا من القرآن، أما آية فهو ما يصعب تصديقه أو تصوره، فالمسلم حافظ لسور وليس آيات يقرأ بها في صلاته، وهو أمر ثابت، فصار الجواب إخلال بمبدأ الكيف أو الصدق، ويمكن القول بأن أخل بمبدأ الكم، حيث جاء الجواب أقل من المتوقع أو المرجو، فإيراد آية قصيرة، لتكون هي المحفوظ يعد إخلالا بمبدأ الكم.

---

[1] ينظر: العياشي أدراوي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني، ص ٩٩

[2] التطفيل، ص١٦٤

[3] التطفيل، ص١٤٠

ومر في مبحث الفكاهة أنها تعتمد أحيانا على فكرة تضخيم العيوب والمبالغة في تصويرها وهو ما يؤدي إلى نشوء الكذب، لذا جاءت ردود الطفيلين مخلة ببعض المبادئ كالكم والكيف وذلك مبالغة في حبِّ الطعام والدعوة إلى الولائم، ومن ذلك:" سمعت بنانا يقول: حفظت القرآن كله ثم أنسيته إلا حرفين:(آتينا غداءنا) ٦٢/ الكهف"[١] وهنا يظهر أثر المبالغة، فمعنى هذه العبارة لا يمكن حمله من بنان إلا على محمل المبالغة، إذ لا يعقل أنه نُسي القرآن كله، بما فيه الفاتحة والمعوذات ولم يبق منه إلا هذه الآية، ولكن الحسّ الفكاهي والرغبة في الإضحاك كانا الدافع وراء هذه المبالغة بما تحمله من إخلال بمبدأ الكيف، الذي يقوم على فكرة" لا تقل ما تعتقد أنه كاذب ،ولا تقل ما لا تستطيع البرهنة على صدقه" ولاشك أن هذه الدعوى لا يمكن تصديقها.

والمبالغة عنصر حاضر في الفكاهة بقوة، وهي التي تولد الكذب أو مخالفة الحقائق، وهو ما يمكن تفسيره تداوليا بالإخلال بمبدأ الكيف، وإليه يعزى جزء كبير من إثارة الضحك، يقول برغسون: "إن الكلام عن الأشياء الصغيرة كما كانت كبيرة يعني بشكل عام المبالغة، والمبالغة مضحكة عندما تمتد وخاصة عندما تكون منهجية... حتى إن المؤلفين عرّفوا الهزل بالمبالغة"[٢]

ج . الإخلال بمبدأ المناسبة:

يقوم هذا المبدأ على قاعدة: ليناسب مقالك مقامك، وينص على أن يكون الكلام مناسبًا لموضوع الحوار وملائمًا له، وغرضه أن تحقق أجزاء الخطاب الواحد توافقًا دلاليًّا يحملها على عدم التعارض[٣]،وقد أشار الجاحظ إلى الفكرة التي يقوم عليها هذا المبدأ إذ إن "من أساليب الإضحاك بالكلام عند الجاحظ عدم التلاؤم بين المقام والمقال"[٤] ويؤدي الخروج عن موضوع الحوار إلى الإخلال بالتوازن، وهو كما سبق القول المظلة التي تندرج تحتها أكثر آليات إنتاج الفكاهة، بما تُحدثه من قلبٍ للمنطق.

ومن نوادر الطفيليين التي تسير في هذا المسار ما رواه البغدادي: "قيل لطفيلي مرة: كيف علمك بكتاب الله؟ فقال: أنا من أعلم الناس به، فقيل له: ما معنى قوله: (واسأل القرية التي كنا فيها) ٨٢/يوسف فقال معناه: واسأل أهل القرية، قيل له: وما الدليل على ذلك؟ قال: كما تقول: أكلت سفرة فلان، وإنما تريد أكلت ما فيها"[٥]

يظهر أن الطفيليّ في إجابته عن الدليل على التفسير الذي أورده أخلّ بمبدأ المناسبة، فالدليل بعيد عن القضية التي يدور حولها التفسير، ولا تقوم دليلا مناسبا للمعنى، ولو توقف السياق عند قوله: " واسأل أهل القرية" لكان

---

(١) المرجع السابق، ص١٤٠
(٢) برغسون، الضحك، ص ٨٣
(٣) ينظر: العياشي أدراوي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني، ص٩٩-١٠٠
(٤) قالط العنزي، فن الإضحاك في بخلاء الجاحظ: مقاربة تداولية، مجلة البلاغة والنقد الأدبي، ع٢، ٢٠١٥، ص٨٠
(٥) التطفيل، ص ١٠٩

حوارا مثاليا، لا مجال فيه للإضحاك، لكن إجابة السؤال الثاني ولدت الفكاهة لعدم مناسبتها، وبعدها التام عن الموضوع.

ومثله في عدم المناسبة بين السؤال والجواب: "قيل لطفيليّ مرة: ما بالك أصفر اللون؟ فقال: من الفترة التي بين الغضارتين؛ أخاف أن يكون الطعام قد فني"(١)

إن في إجابة الطفيليّ عن سبب اصفرار لونه إخلالا بمبدأ المناسبة، فاصفرار اللون عادة يكون لأجل المرض، ولكنه أجاب إجابة غير متوقعة، أخلت بمبدأ المناسبة، وأظهرت شدة التعلق بالطعام والخوف من فنائه، فهو ما يستحوذ على تفكير الطفيلي، ويوجه انفعالاته، ويتحكم بلغة الجسد عنده، ولو أجاب إجابة مناسبة للسؤال، وراعى فيها التأدب، فقال: إنه مريض، أو حزين لما كان للطرافة في الحوار مجال، وما نشأ منها الإضحاك، لكن تعمد الإتيان بإجابة بعيدة غير مناسبة هو ما ولّد الطرفة.

ويلحظ هنا ملحوظة مهمة وهو تعمد سؤال الطفيلين وحوارهم، واستثارة إجاباتهم، وكأن الأمر معلوم مسبقا بأن الإجابات ستكون مضحكة ومسلية ومفاجئة في الوقت نفسه، وعلى هذا المحمل يمكن أن تحمل كثير من الأسئلة التي مرت إذ لم يكن الغرض الحقيقي من ورائها معرفة الإجابة الجادة بقدر ما كانت تهدف إلى إبراز جانب في شخصية الطفيلي وهو تعلقه بالطعام وحبة الشديد لحضور الولائم وحصول الدعوة، ومن أوضح الأمثلة التي تجلي تلك الفكرة هذا الحوار: "قيل لبعض الطفيلين: أتحب أبا بكر وعمر؟ قال: ما ترك الطعام في قلبي حُبًّا لأحد"(٢) لا يظهر أن السؤال هنا له مناسبة اقتضاها المقام أو خلفه رغبة في معرفة الإجابة بقدر ما يتجه إلى التندر بشخصية الطفيلي الذي لا يفكر –من وجهة نظرهم – إلا في الطعام.

ومن ذلك أيضا: "أخبرنا أبو العباس المبرد قال: قيل لطفيليّ: كم اثنان في اثنين؟ قال: أربعة أرغفة. قال" وقال مرة أخرى: انتظرته مقدار ما يأكل إنسان رغيفا"(٣)

ويظهر من تأمل نوادر الطفيلين أن أكثر ماورد من حوارات في باب "أخبار من صرف إلى التطفيل همته وجعل ذلك صناعته وحرفته"(٤) تدخل تحت خرق مبدأ المناسبة، إذ إن الغرض منها بيان انصراف اهتمامهم إلى التطفيل، فهو هاجسهم الأكبر وشاغلهم الأول، لذا تأتي إجاباتهم متأثرة بهذا الهم من جانب وغير مناسبة للسؤال المطروح من جانب آخر.

(١) المرجع السابق، ص١١٠
(٢) السابق، ص١١١
(٣) التطفيل، ص١١٤
(٤) المرجع السابق، ص١٠٨

ويؤكد هذه الفكرة ما ذكره برغسون حين تحدث عن المضحك من الكلمات فقال:" نحصل على كلمة هزلية حين نبث فكرة لا معقولة مستحيلة في قالب من الجمل مكرس"[١]

ومما يدخل ضمن هذا المجال: "جاء بُنان إلى وليمة، فأغلق الباب دونه، فاكترى سلما، ووضعه على حائط الرجل، وتسور، فأشرف على عيال الرجل وبناته، فقال له الرجل: ياهذا! أما تخاف الله؟ رأيت أهلي وبناتي! فقال: يا شيخ! (لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ) ٧٩/ هود قال: فضحك الرجل، وقال له: انزل فكل. فقال له بنان: يا هذا! لا تسيء بالمشايخ الظن، واستغفر الله مما كان"[٢]

فنشأة الإضحاك هنا من عدم المناسبة بين الموقف وبين الآية التي رد بها الطفيلي على توبيخ الرجل، فالآية جاءت في سياق مختلف تماما حيث كانت رد قوم لوط عليه حين عرض عليهم بناته، لتعلم أنَّ حاجتهم في الرجال وليس في البنات، وانقطاع العلاقة بين معنى الآية وسياقها وبين موقف الطفيلي، هو ما أثار الضحك.

وهذا الانقطاع بين الجمل الحوارية والسؤال والجواب عبر عنه برغسون بقوله: " ولا يحدث هذا إلا إذا كانت الجمل تحتوي لا معقولية ظاهرة، أو خطأ جسيم، أو تناقض في التعابير "[٣]

ومنه أيضا: " سمعت عيسى بن محمد...يقول لابن درّاج، وكان رأس ابن دراج طويلا: من أي شيء طال رأسك؟ قال: من مزاحمة الأبواب، أي يعصرونه مع الحائط بالأبواب"[٤]

سئل الطفيلي عن صفة خَلقية في رأسه، وهي الطول، فجاءت إجابته منطلقة من مبدأ التطفل: " من مزاحمة الأبواب"، ولو جاءت الإجابة: أشبه بأبي، وهكذا خُلِقت، لصار الحوار عاديا، لكن جاءت الإجابة تحمل تفسيرا مضحكا، إذ جعل إقفال الأبواب في وجهه بقوة تدفعه للاصطدام بالحائط هي السبب في طول الرأس، وكأنه يرسم مشهدا كاريكاتيريا مضحكا لهؤلاء المتطفلين، وما يلاقونه من طرد وإبعاد عن الولائم، وإن كان خرق مبدأ المناسبة مسؤولا عن إثارة الضحك وتوليد الفكاهة، إلا أن السؤال نفسه يحمل جزءا من ذلك، إذ ماذا كان ينتظر السائل أن يسمع جوابا عن سؤال يتعلق بصفة خلقية في الطفيلي؟ وهل يوجد لشكل الرأس سبب يفصح عنه أو يشار إليه؟ لكن الرغبة في استثارة الطفيلي وإخراج مكنونات الشخصية الفكاهية هي الدافع الحقيقي وراء طرح السؤال، وقد جاءت الإجابة كما كان منتظرا.

حتى الإجابة التي ذكرها الطفيلي يصعب إدراكها فلن يتشكل الرأس من كثرة الصدّ والرد؛ لذا " في بعض الأحيان تكون الجملة التافهة التي تمرر الاستحالة تحت غطائها صعبة الإدراك قليلا"[٥]

---

[١] المرجع السابق، ص ٧٦
[٢] المرجع السابق، ص ١١٧
[٣] المرجع السابق، ص٧٦
[٤] المرجع السابق، ص١٢٢
[٥] برغسون، الضحك، ص٧٧

ومما يدخل ضمن الإخلال بمبدأ المناسبة ذاته القصة التي رويت عن الرشيد وبعض من يحضره من أهل بيته أنهم اختلفوا الفَالُوذِج واللوزِينج، أيهما أطيب؟ فقال الرشيد نسأل أبا الحارث جُمَّين، وهو أحد الطفيلين، فكان رد الطفيلي:" يا أمير المؤمنين! لا أقضي على غائب، قال: فأحضروهما إياه، فجعل يأكل من الفالوذج ساعة، ومن اللوزينج ساعة، فقال له الرشيد: قل أيهما أطيب؟ اقضِ على أحدهما؛ فقال: يا أمير المؤمنين! كلما أردت أن أقضي لأحدهما أدلَّ الآخر بحجته"[١]

جاء رد الطفيلي في النادرة السابقة مخالفا للمقام والسياق، إذ حول السؤال لمقام قضاء بين متنازعين، وهو القاضي الذي سيفصل بينهما، وهذا خرق واضح لمبدأ المناسبة، إذ السؤال كان يرتبط بأمر نسبي مرجعه للذائقة، لكنه حوله عمدا لسياق القضاء والنزاع، ليطلب حضورهما، محتجا بأن نزاهة القاضي تقتضي حضور الخصمين، وعدم غياب أحدهما، وقد جاراه الرشيد في هذا الخروج عن المقام، ملاطفة له ومؤانسة به، فطلب من أن يقضي بينهما، فكان رد الطفيلي متمما لأحداث القضية، ومفاجئا للسامعين ، فقد اعتذر عن تأخره في القضاء بينهما بقوله: "كلما أردت أن أقضي لأحدهما أدلَّ الآخر بحجته" حيث صير الصنفين صاحبي حجج وأدلة قوية، وكل منهما حجته تباري الآخر في النزاع، مما حيّر القاضي وأخره.

ومثله في الإخلال وشبيهه في التفسير ما حكاه أبو نعيم:" أنه سمع أبا بكر بن المقرئ يقول في وصية الخضر لموسى: ولاتكن مشاء في غير حاجة؛ قال: لا تمشِ إلى موضع لا تمضغ فيه شيئا"[٢]

ومما تجدر الإشارة إليه أن القارئ في حوارات الطفيلين يقف أمام حجج وحيل وأدلة، لها طابع الطرافة والتندر، وتعتمد في الإضحاك على المفارقة بين السلوك المشين الظاهر، والتفسير المدعى له، أو محاولة حمله على محمل الاستحقاق أو التلطف.

د . الإخلال بمبدأ الطريقة

يقوم هذا المبدأ على تجنب الاضطراب، والملل والإيجاز المخل، ويرتبط بقاعدة أساسية هي: كن واضحا أو التزم الوضوح، ويترتب عليه تجنب الغموض والابتعاد عن الإبهام[٣].

ومما يفسر وفق الإخلال بمبدأ الطريقة هذه الطرفة: "دعا رجل قوما، فجاؤوا واتبعهم طفيليّ، ففطن به الداعي، فأراد أن يعلمه أنه فطن به، فقال: ما أدري لمن أشكر منكم، لكم إذا أجبتم دعوتي، أم لهذا الذي تجشم من غير دعوة؟"[٤]

---

(١) التطفيل، ص١٠٦

(٢) المرجع السابق، ص ١١٠

(٣) ينظر: العياشي أدراوي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني، ص١٠٠

(٤) التطفيل، ص ١١٥

إن موطن الفكاهة هنا في قول الداعي: " أم لهذا الذي تجشم" إذ إن فيه مخالفة لما بعده "من غير دعوة"، ويحمل من اللبس والتناقض ما لا يخفى، وتحدث الفكاهة هنا إذا التقط المخاطَب معنًى خفيًّا في ذلك اللبس، فكيف لم يدعى للوليمة وتجشم لها الحضور؟ وبهذا اللبس وخفاء المقصود صار الحوار مخالفا لمبدأ الطريقة ومثيرا للضحك.

ومن ذلك أيضا ما رواه" أبو هَفّان: طفّل رجل مرة على رجل، فقال له صاحب المنزل: من أنت؟ قال: أنا الذي لم أحوجك إلى رسول"[١]

وروى البغدادي: "جاء طفيلي إلى دار رجل له عرس، فقال له صاحب العرس: من أنت؟ قال: أنا الذي قال في الشاعر:

نزوركم لا نكافيكم بجفوتكم إن المحب إذا لم يستزر زارا

فقال له صاحب البيت: زارا، لا أدري ما هو، قم فاخرج من بيتنا".[٢]

يتضح من إجابة الطفيلي على صاحب الدار في الخبرين السابقين أنها إجابة غير واضحة، متعمد فيها الإبهام، فالسؤال من صاحب البيت يتجه إلى تحديد الهوية بذكر الاسم، وصفة المعرفة أو صلة القرابة، لكنه أجاب بإجابة لم ترفع الإبهام، وإن كانت أشارت إلى قدومه من غير دعوة، ولكن بطريقة حذقة، وذكية، حيث إنه لم يكن ثقيلا ولم يكلف المضيف إرسال رسول لإيصال الدعوة.

وهذا الرد بهذه الطريقة هو حيلة دفاعية يلجأ إليها الطفيلي ليخلص نفسه من حرج الموقف؛ "إذ يعد الضحك ممارسة هجومية، وتقنية فعالة لإبطال ردود الفعل المحتملة للمسخور منه، وإنزاله منزلة حرجة"[٣]

ثانيا: الإخلال بمبدأ التأدب:

يعرف الناقد "جيني توماس" مبدأ التَّأَدُّب في كتابه: "المعنى في التفاعل: مدخل إلى التداوليّة" بقوله: "هو الرغبةُ الحقيقيّة في أن نكون لُطفاءَ مع الآخرينَ، وَهو الدّافعُ الأساسيُّ لسُلوكِ الفرْدِ اللّغويّ"[٤]وقَسَّمتْ "لاكوف" مبدأ التَأَدُّبَ إلى قواعدِ ثلاثٍ رئيسةٍ هي على التّوالي: التعفف، التشكك، التودد

ومضمون قاعدة التعفف: "لا تفرضْ على المُخَاطَبِ شَيْئاً وَلاَ تَفْرِضْ نَفْسَكَ عَلَى الآخَرِينَ". ومدارُ هذه القاعدةِ أنْ يكون المتكلّمُ جديّاً في خِطابِهِ، مُلتزماً بالشكليّاتِ فيه ومُظهراً قدراً مِنَ التحفّظ في تدخّلاتِهِ، جاعلاً بينه وبين السّامعِ مسافةً مِنَ الوِدِّ والاحترامِ.

ومما يمكن أن تفسر فكاهته من نوادر الطفيلين وفق تجاوز هذا المبدأ:

---

(١) المرجع السابق، ص ١١٤

(٢) التطفيل، ص١١٥

(٣) أمينة الدهري، الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، ص ٣٣

(٤) Thomas. J :Meaning in Interaction. An Introduction to Pragmatics. New York: Longman, 1995. P.150.

-"دخل طفيلي مرة على رجل قد دعا قوما، فقال له: يا هذا! قلتُ لك تجيء؟ فقال الطفيلي: قلت لي لا تجيء"[١] في هذا الحوار خرق واضح لمبدأ التأدب، حيث أجاب الطفيلي صراحة بأنه لم يكن مدعوا، ولكنه ساق الجواب على نسق السؤال الذي وجه إليه، وبلفظه الذي أطلقه السائل، ومن هنا نشأ الإضحاك، فالجواب صحيح، ومناسب للسؤال كما وكيفا، لكن لم يراع فيه أدب الدعوة، واحترام خصوصيات الآخرين ورغباتهم في مناسباتهم وبيوتهم، وإن كان مبدأ التأدب يقوم على فكرة ألّا تفرض نفسك على الآخرين، فإن ما فعله الطفيلي وما صرح به بلفظه فيه فرض للنفس ظاهر على الآخرين.

-"قيل لبنان: مَنْ دخل إلى طعام من غير ان يدعى إليه دخل لصا وخرج مغيرا، قال: ما أكله إلا حلالا، قيل له: وكيف ذلك؟ قال: أليس يقول صاحب الوليمة للخباز: زِدْ في كل شيء، وإذا أراد أن يطعم مئة قدّر لمئة وعشرين؛ فإنه يجيئنا من نريد ومن لا نريد؟ فأنا ممن لا يريد"[٢]

يصرح بُنان في الخبر السابق بأنه يتجاوز مبدأ التأدب، وأنه يفرض نفسه على صاحب الوليمة وهو لا يريده، وكعادة الطفيلين يفلسفون صنيعهم ويجعلونه مقبولا شرعا وعرفا بذكاء وفطنة وتحايل، ولا شك أن في قول بنان: "فأنا ممن لا يريد" إثارة للضحك وحصول للفكاهة، وفيه خرق واضح لمبدأ التأدب، وقاعدة التعفف تحديدا، فليس من الذوق والأدب فرض النفس على الآخرين في مناسبات وهم لا يريدون حضوره، وسواء كان هذا الفعل مخلا بمبدأ التأدب سلوكا أو قولا، فإن في التصريح بهذا الانتهاك لمبدأ التأدب نشأت الفكاهة من هذا الخرق الصريح.

وأختم الحديث عن هذا المبدأ بنادرة تبرز أن جانبا من فكاهة الطفيلين قائمة على انتهاك مبدأ التأدب: "قال رجل لأبيه وكان يتطفل: يا أبة! أما تستحي من التطفيل؟ قال: وما أنكرت منه؟ فقد تطفل بنو إسرائيل، فقالوا: (قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا) ١١٤/ المائدة"[٣].

إن سؤال الرجل لأبيه: أما تستحي من التطفيل؟ إذا نظر إليه وفق نظرية الاستلزام الحواري فإنه يبرز المبدأ الذي ينتهكه الطفيلي، وتأتي حواراته وإجاباته وفق هذا الانتهاك متمشية معه، وفي الوقت نفسه يكشف عن تفسير للفكاهة التي يحملها ذاك الحوار، إذ هو حوار يسير في اتجاه يخالف بعض الآداب العامة دون تحرج من ذلك، ومن هذه المفارقة أو المخالفة تنشأ الفكاهة، وهذا السبب الرئيس الذي جعل اخبار الطفيلين تكتسب صفة النوادر وتولد الفكاهة، وتورث الإضحاك.

ولعل في إجابة الطفيلي هنا على سؤال الاستحياء، تصريح ضمني بعدم التزام شخصيّات التطفيل بمبدأ التأدب الحواري، وأنها خرقته أحيانا على نحو واعٍ أو مقصود، مع التأكيد على فكرة أن خرق الطفيلي لهذا المبدأ كان على

(١) التطفيل، ص١١٤
(٢) التطفيل، ص٨٠
(٣) التطفيل، ص٧٩

حذر وفي حدود مقبولة اجتماعيا في ذلك الوقت، لأنه لو سلك غير هذا المسلك لانصرف عنه المخاطب أو المضيف ولم يستمع لحواره، وصدّ عن استضافته، ولم يستقبله في بيته.

ويبدو من خلال تحليل الحوارات وفق قواعد الاستلزام الحواري تداخل عوامل الإضحاك أو الفكاهة فهي تتداخل في إحداث الأثر وتتكامل في الوقت نفسه، فالإضحاك الناجم عن الكلام والحوار يستند على عوامل شخصية، تظهر في صورة حيل دفاعية عن صفات خلقية مذمومة كالبخل والتطفل، والجبن، وقد تكون سخرية من الذات التي تشعر بالإحباط والكبت، وترغب في التنفيس، فالتهكم بالذات من أهم أنواع الفكاهة وأشدها إضحاكا لما تعكسه من عبث بالذات وتشويه لقيمتها، إذ غالبا "الشخص الذي يتندر بنفسه شخص فكه، لبق خفيف الروح سريع البديهة، يتفكه بنفسه تنفيسا عن غيظ مكظوم، أو صدى لاستهزائه بالأحداث التي مرت به، ويصبح التندر ضربا من التعالي على كوارث الدهر ومفارقاته... أو لينجو من مأزق أو ملامة أو عقوبة"[١] ومن أشكال السخرية والتهكم بصفات الإنسان: "الشخصية التي لا تساير المثل العليا للمجتمع كالبخل والجبن والغرور وحب الظهور "[٢]

الخاتمة

إن اختيار هذا النوع من النوادر والشخصيات قدم تجليّات واضحة قابلة للتحليل وفق مبادئ الاستلزام الحواري؛ لأن خطاب الطفيلين جاء خطابا مركّبا وجريئا، يتعمد توليد الفكاهة، الأمر الذي منح الدراسة إمكانية النظر إلى حوارات الطفيلين من منظور مبادئ الاستلزام الحواري وقواعدها، وأسفر عن جملة من النتائج يمكن إيجازها في الآتي:

١. أظهر البحث ارتباط الإضحاك في نوادر الطفيلين بانتهاك مبادئ الاستلزام الحواري، خلافًا لما ذهب إليه جرايس من أن السخرية والاستعارة ينتجان جميعا من انتهاك مبدأ الكم وحده، مع التأكيد على أن مبدأ المناسبة كان أكثر المبادئ انتهاكا وخرقا في نوادر الطفيلين.

٢. أظهرت الدراسة عن طريق تحليل حوارات الطفيلين أن الفكاهة فيها كانت ترتكز أحيانا على الإخلال بأكثر من مبدأ من مبادئ الحوار المثالي (التعاون، والتأدب) أو الإخلال بأكثر من مبدأ من المبادئ الفرعية في الوقت نفسه.

٣. ارتكز حوار الطفيلي وردوده على إثارة الفكاهة والضحك عن طريق تعمد عدم المناسبة، وبُعْد الجواب عن السؤال، بغرض استثارة الضحك عند المتلقي الفطن الذي يُحسن قراءة المعنى الضمني بما يحمله الطُرفة.

(١) احمد الحوفي، الفكاهة في الأدب، ص ٢٥٣ـ٢٥٤

(٢) احمد الحوفي، الفكاهة في الأدب، ص٢١٩

٤. ربطت الدراسة بين مفهوم المخالفة لمبدأ التعاون وعنصر (المفارقة) كما عبر عنه العلماء والباحثون سابقا، وتبين أنه هو ذاته، لكن المفهوم أصبح أكثر جلاء ووضوحا حينما صيغ في نظرية الاستلزام الحواري، ونظمت أفكاره، وحددت عناصره، وسميت بمصطلحات جديدة ودقيقة تفصل مواضع المفارقة.

٥. أبرزت الدراسة من خلال تحليل الحوار حضور البديهة لدى الطفيلي، وسرعة إدراكه لعناصر الموقف، ودقة تعبيره واستعماله للغة، مع سعة المحفوظ من القرآن والشعر، والقدرة على استثارة الضحك، مما يدل على أن خرق مبادئ الاستلزام الحواري في حواراتهم لم يكن ناجما عن غباء أو حمق، بل كان أمرا متعمدا مقصودا، ينمّ عن ذكاء وفطنة، ليظهر الطفيلي قدر حبه للطعام وشدة تعلقه بحضور الولائم.

٦. كشفت الدراسة عن قلة النوادر التي حصل فيها إخلال بمبدأ التأدب عند الطفيلين، مما يدل على التزامهم بالأدب والأخلاق العامة، في كلامهم وحواراتهم، وأن سلوكهم التطفلي يأتي تحت غطاء من الفكاهة الكلامية المهذبة، فالسلوك هو الذي انتهك فيه التأدب، أما الكلام فظل ملتزما بالأدب.

٧. أسهم عنصر المبالغة في توليد الفكاهة، حيث كان الطفيلي يعمد إلى تضخيم حبه للطعام والشراب، بطريقة ساخرة خالف فيها مبدأ التعاون، فجاءت ردوده مبالغة متجاوزة الحد، مولدة للضحك.

٨. أن ما يعبر عنه بعض الباحثين بالتخلص الفكه" هو نفسه الإخلال بمبدأ المناسبة؛ إذ يحاول الطفيلي التراجع عن خطئه معتمداً على سرعة بديهته، فيرد الطفيلي على السؤال المحرج بجواب بعيد عن السؤال، ويتخلص من تأزم الموقف برد مفاجئ يخرجه من هذا الواقع، ويحدث ردة فعل فكاهية تمتص غضب الطرف الآخر

قائمة المصادر والمراجع:

المراجع العربية:

١.إبراهيم، (زكريا)، سيكولوجية الفكاهة والضحك، القاهرة، مكتبة مصر، (٢٠١٢م).
٢.أدراوي (العياشي)، الاستلزام الحواري في التداول اللساني، منشورات الاختلاف، دار الأمان، الرباط، ط١ (٢٠١١م).
٣.إسماعيل (صالح)، نظرية المعنى في فلسفة بول غرايس، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، (٢٠٠٥م).
٤. أمين(أحمد)، فيض الخاطر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٢
٥. برجسون (هنري)، الضحك، ترجمة: سامي الدروبي، وعبد الله عبد الدايم، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، (1988م).
٦.البستاني (بشرى)، التداولية في البحث اللغوي والنقدي، مؤسسة السياب، لندن، ط١، (٢٠١٢م).
٧.بلانشيه (فليب)، التداولية من أوستن إلى غولفمان، ترجمة صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط١، (٢٠٠٧م).
٨.الجاحظ (عمرو بن بحر):
–التربيع والتدوير، مؤسسة هنداوي، (٢٠١٧م).

-البخلاء، تحقيق: طه الحاجري، سلسلة ذخائر العرب (٢٣)، دار المعارف، القاهرة، ط٧، (١٩٩٠م).
٩.جحفة (عبد المجيد)، مدخل إلى الدلالة الحديثة، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط١، (٢٠٠٠م).
١٠.الحوفي (أحمد)، الفكاهة في الأدب العربي، أصولها وأنواعها، دار نهضة مصر، القاهرة، (١٩٦٦م).
١١.ختام، (جواد)، التداولية أصولها واتجاهاتها، عمّان :دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ط١، (1437هـ 2016 /م).
١٢.خريوش، (حسين)، أدب الفكاهة الأندلسي دراسة نقدية تطبيقية، الأردن، منشورات جامعة اليرموك، الأردن، دون تاريخ.
١٣.خليفة، (علي محمد السيد)، الفكاهة في مقامات بديع الزمان الهمذاني، دراسة تحليلية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط١، (٢٠١٠م).
١٤.الدهري (أمينة)، الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، مكتبة المدارس، الدار البيضاء، ط١، (٢٠١١م).
١٥.رمضان (صالح)، كتاب الأدب والتعدد الثقافي في بخلاء الجاحظ، حوليات الجامعة التونسية،ع٥١ ،٢٠٠٦م
١٦.روبول (آن)، وَموشلار (جاك)، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ترجمة: سيف الدين غفوس وَ.محمود الشيباني، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط١، (٢٠٠٣م).
١٧.ساندرين (زفيري)، اكتساب التداولية من منظور معرفي واجتماعي، ترجمة: سعد محمد القحطاني، الرياض، دار جامعة الملك سعود للنشر، ط١، (١٤٤٠هـ/ ٢٠١٨م).
١٨.صحراوي (مسعود)، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت، ط١، (٢٠٠٥م).
١٩.عبدالحميد (شاكر)، الفكاهة والضحك رؤية جديدة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، سلسلة عالم المعرفة رقم (289) ٢٠٠٣م
٢٠.ابن عبد ربه، العقد الفريد، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، تحقيق: محمد سعد العريان، ط١، (٢٠١٩).
٢١.عبد الرحمن (طه):
-اللسانيات والمنطق، مجلة دراسات سيميائية لسانية أدبية، المغرب، العدد ٢، (١٩٨٨م).
-اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، ط١، (١٩٩٨م).
٢٢. غرايس(بول)، المنطق والمحادثة، ترجمة، محمد الشيباني وسيف الدين دغفوس، ضمن كتاب، إطلالات على النظريّات اللسانيّة والدلاليّة في النصف الثاني من القرن العشرين، مختارات مُعرّبة بإشراف وتنسيق، عزّ الدين مجدوب، المجمع التونسي للآداب والفنون، بيت الحكمة، ط،١، تونس، ٢٠١٢.
٢٣. عكاشة (محمد)، النظرية البراغماتية اللسانية (التداولية)، دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، مكتبة الآداب، ط١، (٢٠١٣م).
٢٤.أبو العلاء، (عصام الدين)، نظرية أرسطو في الكوميديا، مكتبة مدبولي، (١٩٩٣م).
٢٥.علي (محمد قره)، الضاحكون، مؤسسة نوفل، (١٩٨٨م).
٢٦. العنزي (قالط)، فن الإضحاك في بخلاء الجاحظ: مقاربة تداولية، مجلة البلاغة والنقد الأدبي، ع٢، ٢٠١٥م
٢٧.فرج (رمضان)، الأدب العربي ونظرية الأجناس (القصص)، دار محمد علي الحامي، صفاقس، تونس، ط١، (٢٠٠١م).
٢٨.قاسم، عثمان جميل، الاستلزام الحواري في الفكر اللُّغوي عند العرب القدامى، وصف وتحليل، الرباط، مجلة اللسان العربي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، العدد 81 – 80 ، ط (2020 – 2019 م).

٢٩.قويدر (جهاد عبد القادر)، شعر الفكاهة في العصر العباسي، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة البعث، (١٤٢٩، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٨، ٢٠٠٩م).

٣٠.المتوكِّل (أحمد)، اللسانيات الوظيفية: مدخل نظري، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، ط٢، (٢٠١٠م).

٣١.مقري، (معاذ مراد)، الخطاب الحجاجي في السرد الجزائري المعاصر قراءة مقطوعة من رواية مقامات الذاكرة المنسية لـ حبيب مونسي، مجلة التحبير، مجلد٢، ع٣، (٢٠٢٠م).

٣٢.نحلة (محمود أحمد):

-التعريف والتنكير بين الدلالة والشكل، مكتبة زهراء الشرق، مصر، د ط، (١٩٩٩م).

-أفاق جديدة في البحث اللساني المعاصر، دار المعرفة الجامعية، مصر، ط١، (٢٠٠٢م).

٣٣- عبد النور(جبور)، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، (١٩٧٩م).

المراجع الإنجليزية:

-Paul Grice, Studies in the Way of Words, Harvard University Press, UK: London1991

Robin Lakoff: The Logic of Politeness.In Papers from the Ninth Regional Meeting. Chicago. -Linguistic Society.Chicago.1973

-Thomas. J :Meaning in Interaction. An Introduction to Pragmatics. New York: Longman, 1995

New Standard Encyclopedia: Standard Educational Corporation, Chicago, Illinois,1972-

Verbal humor in the Book " Gatecrashing and Tales of Intruders by Al-Baghdadi 463 A.H." A Study in the Light of the Conversational Implicature Theory

Dr. Amani Abdulaziz Aldawood

The department of Arabic language–

College of Languages & Translation

University of Jeddah

Abstract. Humor is an important innate and social aspect of human life. The mechanisms of its production vary, some of which are emanating from a movement, an act, a form, or an appearance that provokes laughter, and what is emanating from oral circulation and the use of language. The latter depends in large part on the intentional or unintentional confusion in the semantics of the terms or their use in unusual contexts. Pragmatics has appeared in modern linguistic studies to focus its work on studying the uses of language in the lives of its speakers, where the researchers found that some discourses are not sufficient by themselves or in their apparent meaning to know the intent of them. Rather, they must be interpreted based on certain data that help to understand their implicit meanings. This is what is known as the “conversational Implicature,” which means the difference between what is said and what is intended between the speaker and the addressee. This idea is an element present in the production of many humorous dialogues. Hence, this research came to employ the “conversational implicature theory” in interpreting the humor of anecdotes, by applying it to the book “Al-Baghdadi’s Parasitism and Tales of Gatecrashing, their news, anecdotes, and poems.” It is one of the heritage books that tell the anecdotes of Intruders and the anecdotes of the jokes that were narrated about them, which makes the principles of conversational Implicature present and influential.

This study addresses the news of the intruders and their dialogues and re-reading them from a pragmatic perspective, to try to identify the secrets of humor and the ways of generating it, and to study the availability of the principles of conversational Implicature in the dialogues of the intruders, and the impact of their absence or deviation from them in giving the linguistic text the humorous dimension and the characteristic of laughter. The study also seeks to attempt to provide an acceptable scientific explanation to provoke such dialogues for laughter, based on the principles presented by the conversational Implicature theory that guarantee the success, safety, and seriousness of dialogue in the event of commitment to them, and generate other matters, the most important of which are: laughter or humor in the event that talk is shifted or violated.

To achieve these goals, the study was divided into an introduction and two sections. The first of them came about (The Conversational Implicature and Content Semantic in the Book), to identify the theoretical framework for the study. The second came to apply the principles of conversational Implicature to the book of gatecrashing and the tales of intruders by studying two principles, namely: (the principle of cooperation - the principle of politeness) to link these principles and the rules they contain and the occurrence of humor.